اسم المقرر

الاستشراق والدراسات الإسلامية

جامعة الملك فيصل
عمادة التعلم الإلكتروني
والتعليم عن بعد

دكتور المادة :

د. محمد عبد الدايم علي سليمان الجندي

اعداد

خمائل الورد

المحاضرة التمهيدية

مدخل تعريفي بمقرر الاستشراق :

تقديـم :

إن الحمد لله نحمده و نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ـ صلى الله عليه وسلم ، وبعد ...

فالاستشراق ... ظاهرة قديمة، كان من بواعثها العداء الذي أحدثه العداء الصليبي، وما سبق الحروب الصليبية من الفتوح الإسلامية التي كان من آثارها دخول كثير من الممالك في الدين الإسلامي. كما كان من بواعث العداء الصليبي للإسلام؛ أن هذا الأخير ينكر عقيدة التثليث والصلب والفداء التي هي أساس المسيحية وعمادها. ولهذه البواعث – وهي قليل من كثير – كانت دراسة الاستشراق للإسلام تاريخا وتشريعا، غير مخلصة، ولا نزيهة، ولا علمية موضوعية. وإنما كانت رغبة في التشفي والانتقام من الإسلام وكتابه ورسوله.

مدخل تعريفي بمقرر الاستشراق :

نعم، لقد تطرق الاستشراق إلى جميع مناحي الحياة الشرقية والإسلامية؛ ولم يدع مجالا إلا وأدلى فيه بدلوه، ولم يترك شاردة إلا وقال فيها كلمته ، ولم يهمل جزئية أو رأيا مهما كان تافها أو ظنيا إلا وأشبعه بحثا وتحليلا، إذ نجد مستشرقين دفعهم حقدهم على الأديان إلى اتهام الإسلام، فتضافرت جهودهم من أجل تحقيق هذا الغرض، فنجحت في تحقيق البعض وأخفقت في تحقيق البعض الآخر .

(يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) .

ونظرا لما يقوم به هؤلاء المستشرقون من جهود جبارة لتشويه الإسلام والصدِّ عنه من خلال السموم التي ينفثها بعضهم في دراساتهم للأقطار العربية والإسلامية يبغون من ذلك إزالة راية الإسلام وإحلال راية الكفر مستخدمين في ذلك كل الوسائل نحو تحقيق هذا الهدف مستغلين حسن نوايانا وتسامح ديننا..

زبدة تعريفية بالاستشراق :

الاستشراق لغة:

كلمة "الاستشراق: مشتقة من مادة "شرق "، وهو مصطلح على الاتجاه نحو الشرق ، وبإسقاط هذا التعريف اللغوي العام على المفهوم الفكري الخاص والمتضمن لدراسة ما يبحث في أمور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم ، نستنبط مفهوما اصطلاحيا يخصص المفهوم ويركزه ويوجهه نحو نشاط فكري وممارسات حركية تتناول الاهتمام بالشرق المسلم دراسة وتمحيصا وإنصافا حينا وتشويها أحيانا كثيرة ، وعليه فمعنى الاستشراق اصطلاحا كما عرفه الدكتور عبد القاهر داود العاني وهو أحد المتخصصين في الدراسات الاستشراقية :

يطلق الاستشراق عادة على اتجاه فكري يعنى بدراسة الحياة الحضارية للأمم الشرقية بصفة عامة ودراسة حضارة الإسلام والعرب بصفة خاصة .
هذا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

زبدة تعريفية بالاستشراق:
أو هو : دراسة الغربيين لتاريخ الشرق وأممه ولغاته وآدابه وعلومه وعاداته ومعتقداته وأساطيره ولكنه في العصور الوسيطة كان يقصد به دراسة العربية لصلتها بالدين ودراسة العربية لعلاقتها بالعلم، إذ بينما كان الشرق من أدناه إلى أقصاه مغمورا بما تشعه منائر بغداد والقاهرة من أضواء المدينة .

■ وعليه فالاستشراق يعد اتجاه فكري يعني بدراسة حضارة الأمم الشرقية بصفة عامة وحضارة الإسلام والعرب بصفة خاصة وقد كان مقصورا في بداية ظهوره على دراسة الإسلام واللغة العربية فقط ثم اتسع ليشمل دراسة الشرق كله بلغاته وتقاليده وآدابه .

خلاصة ما سبق :

وخلاصة القول : أن الاستشراق اتجاه فكري يعمد إلى دراسة علوم الشرق المسلم وقد عني بتشويه صورة الإسلام ، وهو ظاهرة قديمة كان من بواعثها العداء الذي أحدثه العداء الصليبى .

أهداف المقرر
يهدف المقرر أن يجعل الطالب قادرا على أن :
- يعرض نماذج من الدراسات الاستشراقية حول الإسلام .
- يرد على دعاوى المستشرقين.
- يبين طريقة تفكير الغرب ونظرتهم للدين الإسلامي.
- يوازن بين مناهج المستشرقين.

المراجع والمصادر التعليمية :
المرجع الرئيس: الاستشراق والدراسات الإسلامية . د. عبد القاهر داود العاني . دار الفرقان بالأردن.
- المراجع المساعدة :
- الاستشراق إدوارد سعيد .
- حفريات الاستشراق فى نقد العقل الاستشراقى لسالم ياقوت ، المركز الثقافى العربى .
- تاريخ حركة الاستشراق والدراسات العربية والإسلامية في أوروبا . يوهان فوك . ترجمة عمر لطفي العالم .

المحاضرة الأولى

العلاقة بين الغرب والشرق الإسلامي في العصور الأولى والعصور المظلمة في أوروبا

شمس العرب تستطع على الغرب في عصوره المظلمة : .

ـــ فضل الحضارة الإسلامية والعربية على أوربا :

بداية .. وقبل أن نعرض لفضل الحضارة الإسلامية والعربية على أوروبا نتساءل : لماذا وصفت العصور الوسطى بالنسبة لأوروبا بالعصور المظلمة ؟ والجواب يكون في إجمال لأن أوروبا كانت تعيش في تلك العصور حياة غوغائية فوضوية ، ففي الوقت الذي عاش فيه المسلمون في بغداد وقرطبة وغيرها من العواصم الإسلامية حياة العلم والازدهار الحضاري كان الغرب يعيش حالة من التخلف العلمي والفوضى والجهل ، ولهذا نجد الكثير يصف تلك العصور بالمظلمة دون أن يميز بين حالتين متناقضتين بين الغرب والشرق الإسلامي ، وهو ما جعل بعض المستشرقين ينسون أو يتناسون كل مقومات الحياة في تلك العصور ، فدرسوا هذه العصور على أنها عصور مظلمة مع تجاهل المقارنة بين الغرب بجهله في تلك العصور وبين الشرق الأدنى صاحب الثقافة العربية الإسلامية المنيرة .

وبالرغم من أن الكثرة الغالبة من المستشرقين قد أعماها التعصب والحقد ، فلم تعترف للعلماء العرب بأي إنتاج أو فضل على أوروبا ، إلا أن قلة منهم اعترفوا بفضل العلماء العرب المستشرقة الدكتورة المنصفة (سيجريد هونكه) مؤلفة كتاب (شمس العرب تسطع على الغرب ـ أثر الحضارة العربية في أوروبا) حيث تقول : " لقد شاء الله أن يظهر من الأوربيين من ينادي بالحقيقة والإنصاف ولا يبخس العرب حقهم، في أنهم حملوا رسالة عالمية، وأدوا خدمة إنسانية للثقافة البشرية قديما وحديثا ".
إن هذا النفر من الأوربيين المنصفين، لا يأبه بتحدي المتعصبين الذين حاولوا جهد طاقتهم طمس معالم هذه الحضارة العربية والتقليل من شأنها .

إن أوروبا تدين للعرب وللحضارة العربية ، وإن الدَّيْن الذي في عنق أوروبا وسائر القارات الأخرى للعرب كبير جداً ، وكان يجب على أوروبا أن تعترف بهذا الصنيع منذ زمن بعيد، إن العرب أصحاب نهضة علمية لم تعرفها الإنسانية من قبل ، وهذه النهضة فاقت كثيراً ما تركه اليونان أو الرومان ، إن العرب ظلوا ثمانية قرون طوال، يشعون على العالم علماً وفناً وأدباً وحضارة، كما أخذوا بيد أوروبا وأخرجوها من الظلمات إلى النور، ونشروا لواء المدنية ، إنهم ذهبوا في أقاصي البلاد ودانيها ، سواء في آسيا أو إفريقيا أو أوروبا ، ثم تنكر أوروبا على العرب الاعتراف بهذا الفضل إذن لم ينصف جمهرة المستشرقين حين تجاهلوا النشاط الثقافي في العصور الوسطى وتأثيره على أوروبا ، وهو يعطي صورة مغلوطة مشوهة عن تطور الحضارة العربية .

خلاصة ما سبق :

من خلال ما سبق نخلص إلى عدة نقاط أهمها :
ـ وصفت العصور الوسطى بالنسبة لأوروبا بالعصور المظلمة لأن الغرب كان يعيش حالة من التخلف العلمي والفوضى والجهل .
ـــ كان للحضارة العربية والإسلامية فضل وقوة على أوروبا المظلمة أكثر من فضل وقوة أوروبا على حضارة الرومان واليونان .
ـــ رغم إنكار كثير من المستشرقين لفضل الحضارة الإسلامية على نهضة أوروبا قديما وحديثا إلا أن بعض المنصفين منهم أقر بفضل العرب وحضارتهم على أوروبا ومنهم المستشرقة الدكتورة المنصفة (سيجريد هونكه) مؤلفة كتاب (شمس العرب تسطع على الغرب) .
ـ أدى إنكار جمهرة من المستشرقين لفضل الحضارة العربية الإسلامية على أوروبا إلى إعطاء صورة مغلوطة مشوهة عن الحضارة العربية .

ـ شهادة المستشرق " جورج سارتون " على فضل الحضارة الإسلامية على أوروبا :

يقول العلامة الدكتور : عبد القهار العاني في كتابه (الاستشراق والدراسات الإسلامية) عن شهادة المستشرق " جورج سارتون " :
لقد ألقى " جورج سارتون " نورا ساطعا نفاذا على هذه الحِقبة ـ يقصد العصور الوسطى ـ من التطور البشري في كتابه العظيم (مقدمة لتاريخ العلم) من تفتح الأذهان ونمو الأفكار في الصين عبر آسيا وأوروبا ، وذكر " سارتون " النتاج العقلي للحضارة الإسلامية في الطليعة الأولى ، وقد قسّم بحثه إلى أنصاف قرون وميز كل حقبة زمنية بمن نبغ فيها من المفكرين ، وتحمل الحِقبات أسماء الكثيرين من علماء العرب وفلاسفة الإسلام .
ويستطرد " سارتون " قائلا :
ولم تكد تمضي مائة سنة على خروج العرب من صحرائهم ، أي في القرن الثامن للميلاد حتى أصبح العراق مركزا لأعظم نشاط فكري في ذلك العصر وقد توقّد المجتمع العربي في هذه الحقبة بالقوة والعزم والعلم والمعرفة من مختلف البلدان وأقصاها إلى البصرة والكوة وبغداد من العراق ، أما النصف الثاني من هذا القرن هو عصر " جابر بن حيان " المعروف عند الأوروبيين في العصور الوسطى ، وهو أعظم رجال العلم في تلك العصور ، ومن خلال أعماله نستطيع أن نتبين عقلا علميا رأى أهمية التجارب العلمية بصورة أوضح مما رآها أي من قدماء الكيميائيين ودون آراء جد صائبة في أساليب البحث الكيميائي ، وتأثير جابر واضح في جميع سياق تاريخ الكيمياء في أوروبا "
بهذه الكلمات المنصفة أكد المستشرق " سارتن " فضل العلماء المسلمين على الغرب في نهضته الحديثة ، وكان القرن التاسع في رأي " سارتن " قرنا إسلاميا بسبب التفوق العارم لمؤلفات الباحثين والعلماء المسلمين على ما تنتجه الأقطار الأخرى ، واستمر هذا التفوق طوال القرن العاشر ، ولم تكن

اللغات الأخرى بحضاراتها تتضمن سوى القليل ، فجميع الاكتشافات نشرت بالعربية التي كانت بحق هي الوسيلة الدولية للتقدم العلمي " .

يقول جورج سارتون في كتابه "مقدمة في تاريخ العلم":

"إن الجانب الأكبر من مهام الفكر الإنساني اضطلع به المسلمون؛ فالفارابي أعظم الفلاسفة، والمسعودي أعظم الجغرافيين، والطبري أعظم المؤرخين".

وهكذا صار العلم عند المسلمين منارا يهتدي به في ظلمات القرون الوسطى التي تعيشها أوروبا ، وكان علم المسلمين بالنسبة للعلم الذي سبقه كنسبة النور الساطع إلى الظلام الدامس ، وهكذا استمر نشاط القرن العاشر في العلوم والمعارف ، وبلغت شموسها آفاق أوروبا فبددت ظلامها بفضل علماء المسلمين وحضارتهم " بهذا الوصف الرائع وصف سارتون حال أوروبا المظلمة وأثر الحضارة الإسلامية في سطوع شمسها .

ـ القرن الحادي عشر وفجر الحركة الفكرية :

يقول الدكتور عبد القهار العاني : اشتدت الحركة الفكرية في القرن الحادي عشر وبلغت ذروتها فيه ، وإن الانتقال من الحضارات الأخرى إلى المدنية العربية الإسلامية ـ كما قال " سارتون " يكاد يشبه الانتقال من الظل إلى الشمس المشرقة ، ومن عالم ناعس إلى آخر متفجر بالنشاط " .

وصدق المستشرق "برنال "حيث يقول :

إن الفضل أعظم الفضل للعلماء العرب في الحفاظ على هذا التراث، وتكوينه ونقله والتأليف فيه ، وإن العلماء العرب قد بلغوا في ذلك شأوا ، وأنهم تفوقوا على الإغريق، أن جعلوا العلم سهلاً مستساغاً ، فأقبل الناس على النهل منه ، وكانت ميزة تفرد بها العلم العربي .

إن الحضارة الغربية الحديثة مدينة للحضارة العربية الإسلامية وهي في أزهى عصورها بالإسهامات القوية في تطوير الفكر الغربي عن طريق ما بذله الأوربيون في العصور الوسطى من ترجمة للعلوم من اللغة العربية للغات الأوروبية المختلفة وما نهلوه من معرفة وعلم في مراكز الإشعاع للحضارة العربية الإسلامية في العصور الوسطى كالأندلس وصقلية وخلال الحروب الصليبية، وفتح جنوب شرق أوروبا على يدي العثمانيون .

ـ من طرائق نقل العلم من العالم الإسلامي إلى الغرب في العصور الوسطى :

تصدرت الأندلس طرائق نقل العلوم من العالم الإسلامي إلى الغرب ، حيث كانت محل إشعاع ومدنية وتشريع للغرب مما لم يعهدوه من قبل ، وعن طريقها انتشرت الثقافة الإسلامية في أوروبا ، لقد كان للروح العلمية والبحث العلمي المتواصل والجهد المستمر في الحقول المعرفية العالمية عامة والغربية خاصة فضلا في صناعة الحضارات ؛ مما جعل من ثمارهم العلمية ما يشهده العصر الحديث في حقل المعرفة والمخترعات الجديدة والتطور التقني في العالم عندما جاءت النهضة وامتلأت روح الإنسان ثانية بالحماسة للمعرفة واندفعت بشعلة العبقرية ، واستطاعت أن تجدَّ وتسرع في العمل وفي الإنتاج والاختراع كان بفضل العرب الذين حفظوا وأكملوا مختلف فروع المعرفة وأذكوا روح البحث العلمي وجعلوا تلك الروح مستعدة لاكتشاف أبعد مدى .

تصدرت الأندلس طرائق نقل العلوم من العالم الإسلامي إلى الغرب ، حيث كانت محل إشعاع ومدنية وتشريع للغرب مما لم يعهدوه من قبل ، وعن طريقها انتشرت الثقافة الإسلامية في أوروبا ، لقد كان

للروح العلمية والبحث العلمي المتواصل والجهد المستمر في الحقول المعرفية العالمية عامة والغربية خاصة مما جعل ثمارهم العلمية ما يشهده العصر الحديث في حقل المعرفة والمخترعات الجديدة والتطور التقني في العالم عندما جاءت النهضة وامتلأت روح الإنسان ثانية بالحماسة للمعرفة واندفعت بشعلة العبقرية ، واستطاعت أن تجد وتسرع في العمل وفي الإنتاج والاختراع كان بفضل العرب الذين حفظوا وأكملوا مختلف فروع المعرفة وأذكوا روح البحث العلمي وجعلوا تلك الروح مستعدة لاكتشاف أبعد مدى .

توجُّه علماء أوروبا للتعلم في مدارس العرب وترجمة العلوم :

أسهب بعض المستشرقين في بيان فضل الحضارة الإسلامية على الغرب ، وقد حث كثير من علماء أوروبا طلابهم للتوجه إلى مدارس العرب للاستفادة من علومهم ، كما نهلوا من علوم العرب كثيرا : " حيث كان من أقدم المترجمين وأعظمهم المترجم " أديلارد أوف بان " وأعظمهم حيث تعلم العربية خلال زيارته لصقلية وسوريا ، وكان شديد الإعجاب بالعلوم العربية فاكتسب منها اتجاها عقليا " .

ـ وتعلم " مايكل سكوت " في إسبانيا ثم دخل في خدمة " فردريك الثاني " ملك صقلية وترجم العلوم والفلسفة من العربية وكان أحد مؤسسي فلسفة ابن رشد اللاتينية .

ـ كما التحق " روجو باكون " كسلفه كثير الإعجاب باللغة العربية وأشار على طلبته بهجر مدارس أوروبا والالتحاق بمدارس العرب .

من خلال ما سبق نصل إلى ما يلي :

ـ من أهم الكتب التي تثبت فضل علماء المسلمين على نهضة أوروبا كتاب " مقدمة لتاريخ العلم " للمستشرق المنصف " جورج سارتون " .

ـ من مراكز الإشعاع العلمي والفكري في القرن الثامن للميلاد ، العراق ، وقد ميّز المستشرق المنصف " جورج سارتون " النصف الثاني من القرن الثامن بعالم الكيمياء المسلم " جابر بن حيان " ووصفه بأنه العقل العلمي في البحث الكيميائي حيث تأثرت به أوروبا هذا العلم بقوة .

ـ وصف المستشرق المنصف "سارتون " النهضة الفكرية في القرن الحادي عشر الميلادي والانتقال من الحضارات الأخرى إلى الحضارة الإسلامية في تلك الحقبة بأنه يكاد يشبه الانتقال من الظل إلى الشمس المشرقة ، ومن عالم ناعس إلى آخر متفجر بالنشاط " .

ـ من أهم طرائق نقل العلم من العالم الإسلامي إلى الغرب في العصور الوسطى ؛ الأندلس حيث تصدرت طرائق نقل العلوم من العالم الإسلامي إلى الغرب ، حيث كانت محل إشعاع ومدنية وتشريع للغرب مما لم يعهدوه من قبل ، وعن طريقها انتشرت الثقافة الإسلامية في أوروبا .

ـ أقدم كثير من المترجمين على العالم العربي لتعلم العربية وترجمة العلوم حتى أنهم أعجبوا باللغة العربية ومنهم "المترجم " أديلارد أوف بان " و" مايكل سكوت " حيث ترجم العلوم والفلسفة من العربية ، ومنهم " روجوباكون " الذي أشار على طلبته بهجر مدارس أوروبا والالتحاق بمدارس العرب .

المحاضرة الثانية
تاريخ الاستشراق

تاريـــــخ نشأة مصــطــلح " استشراق " كمسمى :
بداية .... متى ظهرت كلمة (الاستشراق) كمسمى ؟

لا يفهم من الدراسات الاستشراقية ما يؤصل لتاريخ مصطلح " الاستشراق " ، فلا يوجد ما يشير إلى أن كلمة (الاستشراق) كمسمى كانت معهودة في العصور المتقدمة، وأن أعمال المستشرقين وجهودهم عرفت بتلك الكلمات والمصطلحات، إنما يبدو أنها إنّما ظهرت تلك المصطلحات في زمن متأخر جدّاً كما يقول الدكتور عمر فرّوخ: إن كلمة (الاستشراق) لم تكن منتشرة ولا متداولة في تلك الفترة، إنما عرفت في اللّغة الإنجليزية عام ١٨١١م، وفي اللغة الفرنسية عام ١٨٣٠م، كما أنّ كلمة (المستشرق) بدأت في الظهور في اللغة الإنجليزية عام ١٧٧٩م، ثم ظهرت في اللغة الفرنسية بعد ذلك بعشرين عاماً.
ويلاحظ هنا أن كثيراً من الترجمات الاستشراقية أصدرها المستشرقون قبل ظهور هذا المصْطَلح (استشراق) ، وأهدافهم من وضع تلك الترجمات واضحة وضوح الشمس من خلال ترجماتهم وكتاباتهم دون أن يلقبوا في تلك الفترة بالألقاب المشهورة .
ـ وعليه فإن النشاط الاستشراقي والترجمة للعلوم العربية والإسلامية سبق المصطلح " استشراق " فمصطلح استشراق تأخر كثيرا عن ظهور النشاط الاستشراقي نفسه .

ثانيا : تاريخ نشأة الاستشراق كفكر ونشاط :

اختلف الباحثون من مسلمين وغير مسلمين حول تحديد نشأة الاستشراق ، وللباحثين آراء متباينة في تحديد تاريخ حركة الاستشراق ومنشئها ؛ لأنها لم تبدأ بصورة منظمة أو بتخطيط سابق، بل كانت في البداية جهوداً فردية وعفويّة؛ من هنا صعب على الباحثين التعرف على التاريخ بالدقة والتحديد.
وبعد أن ظهرت هذه الحركة شيئاً فشيئاً واتضحت أفكارها عند أهلها وقويت شوكتها، أصبح لها مسار مخصص، ومنهج مميّز، وكوادر ومنظمات ومؤسسات.

تاريخ نشأة الاستشراق :
آراء الباحثين في تحديد تاريخ نشأة الاستشراق :
الرأي الأول :ويحدد أصحاب هذا الرأي القرن العاشر الميلادي بداية للاستشراق، وأرجعوا ذلك إلى تزايد اهتمام الغرب باللغة العربية وآدابها وتزايد الاهتمام بحركة الترجمة وكان من أبرز من اهتم بهذا الاتجاه الراهب الفرنسي "جربت " الذي درس في الأندلس ثم تقلد منصب البابوية عام (٩٩٩م)، وأوصى بفتح المدارس وبترجمة التراث الإسلامي إلى اللغات الأوروبية ، لذلك قال أصحاب هذا الرأي

بأن بداية الاستشراق كانت في القرن العاشر الميلادي حينما أدرك الغرب تلك المعجزة الحضارية الكبرى التي شادها العرب (بالعين المهملة)، فاندفعوا إليها ليتعلّموها ويتسلحوا بها ويستفيدوا منها فأخذوا يدرسون لغتها وآدابها ويترجمون كتبها وينقلون علومها إلى بلادهم، وكان أول من بدأ بذلك رجال الدين، ثم تلاهم غيرهم .

وممن ذهب إلى هذا الرأي الكاتب نجيب العقيقي ؛ يقول: (إن الذين يظنون أنّ أوربا لم تعرف استشراقاً حقيقيّاً قبل الحملات الصليبيّة مخطئون؛ لأن الاستشراق عُرف في القرن العاشر الميلادي).

وعلى هذا الرأي يكون الاستشراق نشأ منذ القرن العاشر الميلادي يوم كان الشرق العربي الإسلامي مرتعا العلم ومنتدى الأدب، وحين كانت قواعد الأندلس وحواضرها الكبرى مثوى للثقافة ومنائر للمعرفة بما فيها من خزائن الكتب والجامعات والمدارس العالية يفد إليها الطلاب من فرنسا وإيطاليا وألمانيا وإنجلترا للدرس والتحصيل ، وتحديداً للفترة الزمنية لهذا التطور يقول أحد المتخصصين في الدراسات الاستشراقية : ((... ذلك حين بدأت التلمذة الغربيّة على الشرق التي كان رائدها ((الراهب جربرت)) الذي تعلم العربيّة في قرطبة ثم عاد إلى بلاده ليتولى البابويّة تحت اسم سلفستر الثاني)) .

الرأي الثاني : أن الاستشراق نشأ مبكراً في القرن الثامن الميلادي في الأندلس؛ ويستدل على ذلك بدخول الغرب إلى الأندلس في أوائل القرن التاسع الميلادي واهتمامهم بالعربيّة وآدابها، فمن الضروري إذن أن تكون نشأته وميلاد حركته قبل ذلك بزمن غير قصير .

وقد أقبل عدد كبير من الغربيين طلباً للتعليم في جامعات المسلمين في الأندلس، في وقت كانت أوروبا تقبع في مجاهل الظلام والتأخر، بل وكانت البعثات العلمية تقصد جامعات المسلمين من أعلى مستوى الشخصيات الأوربية.

الرأي الثالث : وفيه يُرجع بعض الباحثين نشأة الاستشراق إلى أواخر القرن السابع الميلادي، ويستندون في ذلك إلى كتابات بعض النصارى عن الإسلام أمثال يوحنا الدمشقي؛ لأنه عاش مابين ٦٧٦م و٧٤٩م.

الرأي الرابع : يحدد المستشرق الألماني "رودي بارت" القرن الثاني عشر الميلادي بداية للاستشراق، مع ظهور أول ترجمة لاتينية لمعاني القرآن الكريم، بتوصية من "بطرس" الملقب بالمحترم الذي زار الأندلس وأوصى بإصدار أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللاتينية عام (١١٤٣م).

الرأي الخامس، وهو للدكتور محمد البهي ؛ وذهب فيه :إلى أن الاستشراق بدأ في بعض البلدان الأوروبية في القرن الثالث عشر الميلادي ، على الرغم من اعترافه بإمكانية وجود محاولات فردية قبل ذلك ، إذ تعتبر الحروب الصليبية مع بداية القرن الثالث عشر الميلادي من البدايات القوية لظهور حركة الاستشراق.

ـــ ويؤكد الدكتور البهي على أن الاستشراق انتشر بصورة جدية بعد عصر الاصلاح الديني الذي قام به مارتن لوثر .

ـ ويكاد يجمع المؤرخون على أن الاستشراق قد انتشر بصورة جدية بعد الإصلاح الديني الذي قام به مارتن لوثر وغيره في أوروبا ، وهذا الرأي نراه جامعا وهو الأقرب للصواب .

عصر الازدهار الحقيقي للاستشراق :

-يعد القرنان التاسع عشر والعشرين عصري الازدهار الحقيقي للحركة الاستشراقية، إذ ظهرت في هذين القرنين الجمعيات الاستشراقية التي نشطت في إصدار المجلات والمطبوعات الاستشراقية .

-كما شهد القرن التاسع عشر بداية المؤتمرات الدولية للمستشرقين إذ عقد أول مؤتمر دولي عام (١٨٧٣م).

خلاصة ما سبق :

زبدة المقال وخلاصة ما سبق :

من خلال ما سبق نصل إلى نقاط مهمة في تاريخ نشأة الاستشراق مجملها ما يلي :

← يجب التفريق بين تاريخ استخدام مصطلح الاستشراق كمسمى ، وتاريخ الاستشراق نفسه (كفكر ونشاط) .

← لا يوجد ما يشير إلى أن كلمة (الاستشراق) كمصطلح كانت معهودة في العصور المتقدمة .

← يبدو أن مصطلح (استشراق) إنّما ظهر في زمن متأخر جدّاً .

← أن سبب اختلاف الباحثين حول تحديد تاريخ نشأة الاستشراق ، هو أن حركته لم تبدأ بصورة منظمة أو بتخطيط سابق .

← مجمل آراء الباحثين في تحديد تاريخ نشأة الاستشراق :

- الرأي الأول :أن الاستشراق نشأ في القرن العاشر الميلادي ، وأرجعوا ذلك إلى تزايد اهتمام الغرب باللغة العربية وآدابها وتزايد الاهتمام بحركة الترجمة وكان من أبرز من اهتم بهذا الاتجاه في هذا القرن الراهب الفرنسي "جربت "

- الرأي الثاني : أن الاستشراق نشأ مبكراً في القرن الثامن الميلادي ؛ ويستدل على ذلك بدخول الغرب إلى الأندلس في أوائل القرن التاسع الميلادي حيث أقبل عدد كبير من الغربيين طلباً للتعليم في جامعات المسلمين في الأندلس .

- الرأي الثالث : أن الاستشراق نشأ في أواخر القرن السابع الميلادي، ويستندون في ذلك إلى كتابات بعض النصارى عن الإسلام أمثال يوحنا الدمشقي؛ لأنه عاش مابين ٦٧٦م و٧٤٩م.

الرأي الرابع : :أن الاستشراق نشأ في القرن الثاني عشر الميلادي بداية للاستشراق، مع ظهور أول ترجمة لاتينية لمعاني القرآن الكريم عام (١١٤٣م).

:الرأي الخامس :أن الاستشراق بدأ في بعض البلدان الأوروبية في القرن الثالث عشر الميلادي ، إذ تعتبر الحروب الصليبية مع بداية القرن الثالث عشر الميلادي من البدايات القوية لظهور حركة الاستشرا ق .

← يكاد يجمع المؤرخون على أن الاستشراق قد انتشر بصورة جدية بعد الإصلاح الديني الذي قام به مارتن لوثر وغيره في أوروبا ، وهذا الرأي نراه جامعا وهو الأقرب للصواب .

← أن عصري الازدهار الحقيقي للحركة الاستشراقية : القرنان التاسع عشر والعشرين، إذ ظهرت في هذين القرنين الجمعيات الاستشراقية وبدأت المؤتمرات الدولية للمستشرقين .

المحاضرة الثالثة

آثار الاستشراق في العالم الإسلامي

أولا : الآثار العقدية والتشريعية .

قدّم الاستشراق خدمات كبيرة للغرب النصراني ، حيث أثر تأثيرات سلبية في العالم الإسلامي في المجالات العقدية، والتشريعية، والسياسية، والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية وفيما يأتي أبرز هذه الآثار:

من أبرز الآثار العقدية للاستشراق في العالم الإسلامي ظهور جيل جديد من المفكرين المسلمين ممن اتصل بالمستشرقين وتخرج على أيديهم، حيث ظهرت مدرسة فكرية جديدة من المسلمين، يهاجمون دينهم ويسخرون منه، ومنهم من وقف موقف الخجل من دينه وتاريخه، مع الانبهار بما جاءت به الحضارة الغربية من أفكار ونظريات هدامة في مجال الاجتماع وميادين الحياة.

ونتيجة لهذا الانبهار بالغرب والشعور بالانهزامية، كانت لدى هذه الفئة القابلية الكاملة للارتماء في أحضان الفكر الغربي والتنصل عن كل ما يصلهم بالإسلام، وتقليد الغرب، ومضاهاتهم ومحاكاتهم في كثير من أنماط حياتهم، بل والانكباب على أشكال حياتهم باسم: التجديد والتقدمية والعصرية والحضارة.

ومما دعت إليه هذه المدرسة الفكريةُ المتأثرةُ بالاستشراق:

١ . ظهور دعوى الإصلاح والتجديد، والأخذ بالنموذج الغربي في محاربته للكنيسة وثورته عليها في القرن (١٤م) والتي نتج عنها ظهور الحركة البروتستانتية.

يقول الدكتور عبد القهار العاني في كتابه الاستشراق والدراسات الإسلامية : " وصل الأمر إلى أن بعض المسلمين أخذ يردد كلمات الرجعية والتقدمية والتطور والتجديد وانتشر الإلحاد والانهيار الأخلاقي في المجتمع الإسلامي " .

وينقل إدوارد سعيد في كتابه " الاستشراق " عن أحد المستشرقين هجوما على العقيدة والشريعة الإسلامية حين قال : الإسلام مذهب تعبدي ، وهو عدو الحضارة ، يحبذ الجهل والطغيان والعبودية ، أوهو مذهب تعبدي أدي إلي أن يوقظ في البشر المعاصرين عبقرية الزمن الغابر" .

<u>ويبين " العاني " أثر الاستشراق على العقيدة قائلا :</u>

" أدى الاستشراق إلى إضعاف الروح الدينية والأسس العقدية عند المسلمين ، أي انخفاض الروح الدينية عند المسلمين ، واعتاد المسلمون نتيجة ذلك الحكم الكافر وأنظمته " .

٢ . الادعاء بأن الإسلام والتمسك بالشريعة الإسلامية هو سببُ تأخر المسلمين، وأن المسلمين لن يتقدموا حتى يتحرروا من قيود الدين، كما تحررت أوروبا من قيود الكنيسة.

٣ . انتشار الفكر العلماني الذي يدعوا إلى فصل الدين عن الدولة، والدعوة إلى جعل الدين مجرد تعاليم أخلاقية لا إلزام فيها، وللإنسان الحرية المطلقة في أداء شعائره من عدمه، والعمل على إبعاد

الدين عن التدخل في شئون الحياة.
ثانيا : الآثار الاجتماعية للاستشراق .
٤ . ظهور دعوى عدم صلاحية الشريعة الإسلامية للتطبيق ،يقول الدكتور العاني :
" أظهر الإسلام تقاعسا في التعاطف مع الخبرات الإنسانية " .
٥ . الدعوة إلى محاربة الموروث ونقد النص المقدس كما حدث في الغرب، يقول الدكتور العاني :
" حاول الاستشراق تحريف الأسس الإسلامية بأسماء وشعارات براقة مثل بدع التجديد " .
تعد الآثار الاجتماعية من أخطر الآثار التي ما زال الاستشراق حريصاً على تحقيقها في العالم الإسلامي، فقد اهتم المستشرقون بدراسة المجتمعات الإسلامية ومعرفتها معرفة وثيقة حتى يمكنهم أن يؤثروا فيها بنجاح ، وقد تعاون الاستشراق والاستعمار على إحداث النـزاعات بين أبناء البلاد الإسلامية بتشجيع النزعات الانفصالية .:

يقول الدكتور العاني في ذلك : أدي الاستشراق إلى " انقسام العالم الإسلامي إلى دول وبلاد مختلفة ومتنازعة فيما بينها في كثير من الأحيان " .
ومن الجوانب الاجتماعية التي عمل فيها الاستشراق على التأثير في المجتمعات الإسلامية على البنية الاجتماعية وبناء الأسرة والعلاقة بين الرجل والمرأة في المجتمعات الإسلامية. فقد اهتم الاستشراق بتشويه مكانة المرأة في الإسلام، ونشر المزاعم عن اضطهاد الإسلام للمرأة وشجع الدعوات إلى التحرير المزعوم للمرأة .

ثالثا : الآثار السياسية والاقتصادية :

نشر فكرة الديموقراطية الغربية على أنها أفضل نظام توصل إليه البشر حتى الآن، ولذلك فهم يسعون إلى أن يسود هذا النظام العالم أجمع، وقد سعوا إلى هذا من خلال عدة سبل وأبرزها ؛ انتقاد النظام السياسي الإسلامي.
أما في المجال الاقتصادي فإن الغرب سعى إلى نشر الفكر الاقتصادي الغربي الاشتراكي والرأسمالي وذلك بمحاربة النظام الاقتصادي الإسلامي ، وكما يقول الدكتور محمد خليفة : "إنّ المستشرقين في سعيهم للترويج للفكر الاقتصادي الغربي قاموا بإعادة تفسير التاريخ الاقتصادي الإسلامي من وجهة نظر الرأسماليـــــــــــــــــة والشيوعية كنوع من التأصيل للنظريتين وتقديمهما على أنهما لا يمثلان خروجاً عن النظام الاقتصادي الإسلامي ، وقد تأثرت بعض الدول العربية التي خضعت للاستعمار الغربي بالفكر السياسي الغربي ، وعن أثر الاستشراق علي السياسية والاقتصاد يقول الدكتور العاني :
" لقد تورط الاستشراق في كل التطورات التاريخية التي حدثت في العالم الثالث ، فالاستشراق هو الذي بسط للغزاة أسباب السيطرة ونظم المعلومات ، كما تقدم للشعوب المقهورة بنظريات لخضوعهم وتخلفهم وافتقارهم إلى التنمية " .

رابعا :الآثار الثقافية والفكرية للاستشراق :

حقق الاستشراق نجاحاً كبيراً في التأثير في الحياة الثقافية والفكرية في العالم الإسلامي ، فبعد أن كـان القرآن الكريم والسنّة المطهرة وتراث علماء الأمة الذين فهموا هذين المصدرين فهماً جيداً

وعاش المسلمون على هدي من هذه المصادر في جميع مجالات الحياة أصبحت المصادر الغربية تدخل في التكوين الفكري والثقافي لهذه الأمة سواء أكان في نظرتها لكتاب ربها سبحانه وتعالى ولسنة نبيها أو للفقه أو للعلوم الشرعية الأخرى أو في منهجية فهم هذه المصادر ومنهجية التعامل معها كما أثر الفكر الغربي في المجالات الفكرية الأخرى كالتاريخ أو علم الاجتماع أو علم النفس أو علم الإنسان أو غيره من العلوم.

وقد استطاع الاستشراق تحقيق هذا النجاح بما توفر له من السيطرة على منابر الرأي في العالم الإسلامي فقد أنشأ الغرب العديد من المدارس كما أن العديد من أبناء الأمة الإسلامية تلقوا تعليمهم على أيدي المستشرقين في الجامعات الغربية (الأوروبية والأمريكية).

ومن المنابر التي استطاع الغرب أن ينشر من خلالها الثقافة والفكر الغربيين وسائل الإعلام المختلفة من صحافة وإذاعة وتلفاز ونشر بأشكاله المتعددة.

يقول إدوارد سعيد : " وتطغي الآراء المعاصرة للمستشرقين على الصحافة والعقل الشعبي فهو يصور العرب مثلا علي أنهم راكبي جمال إرهابيون معقوفي الأنوف شهوانيين شرهين تمثل ثروتهم غير المستحقة إهانة للحضارة الحقيقية "

ومن أخطر الآثار الثقافية والفكرية للاستشراق على العالم الإسلامي ما يأتي :

١ . التبعية الثقافية للغرب : يوضح الدكتور عبد القهار العاني خطورة نتيجة تأثير الاستشراق على الثقافة والفكر في العالم الإسلامي بقوله :

" كان من أخطر النتائج التي أعقبت الغزو العسكري ذلك الغزو الصليبي الجديد ؛ المتمثل في التبعية الثقافية التي بدأت بالإعجاب بالمعالم المدنية والمبتكرات الصناعية الغربية ،وتحولت إلى شيوع الانهزام الفكري وضياع روح الاعتزاز بالشخصية الإسلامية ، وقد كان لهذا الغزو الفكري الاستشراقي آثارا بالغة في تأثير الثقافة الغربية على الناشئة المسلمة أهمها تشويه الثقافة والفكر الإسلاميين بجوانبها المتعددة في العالم الإسلامي وعند المجتمع العربي "

٢ . التأثير على التعليم : وذلك بالتدخل في صياغة المناهج والمقررات الدراسية للشعوب المسلمة .

٣ . محاصرة التعليم الديني في المدارس والجامعات الإسلامية بالتوجه العلماني ثقافيا وأخلاقيا : من أسوأ ما خلّفه الاستشراق: ظهور تلك المدرسة الفكرية من أصحاب التوجه العلماني في بلاد المسلمين ممن يسعون في الأرض فساداً من أبناء البلاد الإسلامية، وممن يتحدثون بلغتنا ويعيشون بيننا، من الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا

خلاصة ما سبق :

زبدة المقال وخلاصة ما سبق :

من خلال ما سبق نصل إلى نقاط مهمة في آثار الاستشراق على العالم الإسلامي مجملها ما يلي :

←أولا : الآثار العقدية والتشريعية ، ونوجز لها فيما يلي :

١ . ظهور دعوى الإصلاح والتجديد .

٢ . الادعاء بأن الإسلام والتمسك بالشريعة الإسلامية هو سببُ تأخر المسلمين، وأن المسلمين لن يتقدموا حتى يتحرروا من قيود الدين .

٣ . انتشار الفكر العلماني الذي يدعوا إلى فصل الدين عن الدولة، والدعوة إلى جعل الدين مجرد تعاليم أخلاقية لا إلزام فيها .
٤ . ظهور دعوى عدم صلاحية الشريعة الإسلامية للتطبيق .
٥ . الدعوة إلى محاربة الموروث ونقد النص المقدس كما حدث في الغرب .
← ثـــانيـــا : الآثار الاجتمـــاعية للاستشراق ، ونوجز لها فيما يلي :
١ .اهتم المستشرقون بدراسة المجتمعات الإسلامية وعمل على إحداث النـزاعات بين أبناء البلاد الإسلامية بتشجيع النزعات الانفصالية والنزاعات الدولية
٢ . لتأثير في المجتمعات الإسلامية على البنية الاجتماعية وبناء الأسرة والعلاقة بين الرجل والمرأة في المجتمعات الإسلامية.
٣ . تشويه مكانة المرأة في الإسلام، ونشر المزاعم عن اضطهاد الإسلام للمرأة وتشجيع الدعوات إلى التحرير المزعوم للمرأة .
← ثالثـــــــــا : الآثار السيـــــاسية والاقتصـــــــــادية ، ونوجز لها فيما يلي :
١ . نشر الديموقراطية الغربية على أنها أفضل نظام توصل إليه البشر حتى الآن .
٢ . نشر الفكر الاقتصادي الغربي الاشتراكي والرأسمـالي ومحاربة النظام الاقتصادي الإسلامي .

رابعا :الآثار الثقافية والفكرية للاستشراق ، من أخطر الآثار الثقافية والفكرية للاستشراق على العالم الإسلامي ما يأتي :
١ . التبعية الثقافية للغرب .
٢ . التأثير على التعليم .
٣ . محاصرة التعليم الديني في المدارس والجامعات الإسلامية بالتوجه العلماني ثقافيا وأخلاقيا .

المحاضرة الرابعة

المحاضرة الثالثة أهداف الاستشراق

تعددت أهداف الاستشراق وكان من أبرزها ما يلي:

أولاً: الهدف الديني (حرب الإسلام) :

إن من أوضح أهداف الاستشراق الهدف الديني (حرب الإسلام) ، ويستطيع كل باحث في تاريخ هذه حركة الاستشراق أن يتبين بما لا يدع مجالاً للشك أن الهدف الديني (حرب الإسلام) كان وراء نشأة الاستشراق، وصاحبه في كل مراحل تاريخه.

يقول الدكتور عبد القهار العاني موجزا للهدف الديني للاستشراق وأنه يرتكز في تشويه صورة الإسلام على ما يلي :

١. يعمل الاستشراق على اتهام الإسلام وتاريخه بأنه العداوة والظلام والجهل .

٢. القضاء على وحدة المسلمين بإشعال نار الخصومة بتشييد النظريات العنصرية والطائفية في الشرق الأوسط لتنشأ في العالم الإسلامي طوائف متناحرة متخاصمة ليصفو له الجو ويهيمن على العالم الإسلامي هيمنة لا يستطيع أي بلد أن يدفع عن نفسه غائلة الاستعمار وقيوده إلا بعد جهاد طويل .

٣ . مساندة الاستعمار في تحقيق أهدافه من التشكيك في الإسلام وفكره وغرس الفكر الغربي في النفوس .

٤ . تشويه صورة الإسلام في نفوس الغربيين لصدهم عن اعتناق الإسلام.

ثانياً: الهدف الاقتصادي:

عمل المستشرقون على تحقيق الرفاهية لبلدانهم من خلال السعي لاستغلال خيرات وثروات الشعوب الإسلامية، وذلك بالدراسات التي قاموا بها بخصوص وصف منابع الثروات في البلاد الإسلامية، حيث ظهرت الجمعيات الكشفية الجغرافية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر للميلاد، قبل بدء حقبة الاستعمار الغربي للبلاد الإسلامية، وكذلك من خلال الحصول على عقود عمل للشركات الأجنبية.

وفي المقابل، فقد عملت الدول والمؤسسات الغربية على توفير الدعم المالي لأبحاث المستشرقين المشبوهة تجاه بلاد الإسلام.

ثالثا: الهدف الاستعماري والسياسي :

يظهر الهدف الاستعماري للاستشراق جلياً من خلال العلاقة الوثيقة بين الاستشراق والاستعمار ، وتأتي أهم الأهداف الاستعمارية والسياسية فيما يلي :
١ .تهيئة العقل المسلم لتقبل الاستعمار والخضوع الإرادي له، باعتبار الغرب المنقذ للشرق في كل ما يعانيه من مشكلات وتخلف .
٢ . تهيئة تلاميذ (عملاء) للاستعمار لبث سموم الاستشراق ، يقول الدكتور العاني في ذلك ويتجلى هذا الهدف في " استخدام تلاميذ المستشرقين (عملاء الاستعمار) من الوطنيين الذين درسوا بجامعاتهم وتشربوا بمبادئهم ، وهؤلاء _ وقد أصبحوا قادة الفكر والسياسة في الشرق _ إنما ينفذون سياسة المستعمر بقصد وبغير قصد منهم وبإيحاء من توجيهات المستشرقين "

رابعاً : الهدف العلمي :

مع أن الاستشراق غلبت عليه الأهداف الدينية والسياسية ذات التوجهات العدائية للإسلام، إلا أن ذلك لا ينفي وجود طائفة من المستشرقين هدفهم البحث العلمي عن الحقائق، والقيام بدراسات محايدة التوجه في علوم المسلمين، وفيما يأتي نوجز لأهم الأهداف العلمية للاستشراق ، وهي على توجهين رئيسين :
أولا : أهداف منصفة : وتعتمد على البحث والتمحيص ودراسة التراث العربي والإسلامي دراسة منصفة ، وهم قليل ، ومع إخلاصهم في البحث والدراسة لا يسلمون من الأخطاء والاستنتاجات البعيدة عن الحق. إما لجهلهم بأساليب اللغة العربية ، وإما لجهلهم بالأجواء الإسلامية التاريخية .
وعلى العموم فإن هذه الفئة أسلم الفئات في أهدافها وأقلها خطرا إذ سرعان ما يرجعون إلى الحق حين يتبين لهم، فمنهم من يعيش بقلبه وفكره في جو البيئة التي يدرسها فيأتي بنتائج تنطبق مع الحق والواقع ومن أمثلتهم "توماس أرنولد" حين أنصف المسلمين في كتابه العظيم " الدعوة إلى الإسلام " فقد برهن على تسامح المسلمين في جميع العصور مع مخالفيهم في الدين، على عكس مخالفيهم معهم بحيث يعتبر هذا الكتاب من أدق وأوثق المراجع في تاريخ التسامح الديني في الإسلام.
ونذكر أيضا المستشرق الفرنسي الفنان "دينيه" الذي تعرض للبحث الخالص لوجه الحق والذي عاش في الجزائر فأعجب بالإسلام وأعلن إسلامه وتسمى باسم "ناصر الدين دينيه" وقد ألف كتابا عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وله كتاب «أشعة خاصة بنور الإسلام» يبين فيه تحامل قومه على الإسلام ورسوله.

ثانيا : أهداف مغرضة : وهي تركز على ما يلي :
١ . دس السم في العسل عند تمحيصهم لكتب التراث عن طريق تشويه الحقائق وتزييف الوعي ، وذلك يؤدي إلى إضعاف ثقة المسلمين بتراثهم وبث روح الشك في كل ما بين أيديهم من قيم وعقيدة ومثل

عليا، ليسهل على الاستعمار تشديد وطأته عليهم ونشر ثقافته الحضارية فيما بينهم فيكونوا عبيدا لها .

٢. التشكيك في قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور العلمي لنظل عالة على مصطلحاتهم التي تشعرنا بفضلهم وسلطانهم الأدبي علينا، وإظهار ثروتنا اللغوية والأدبية مجدبة فقيرة لنتجه إلى آدابهم.

٣. التشكيك في صحة رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ومصدرها الإلهي فجمهورهم ينكر أن يكون الرسول نبيا موحى إليه من عند الله جل شأنه، ويتخبطون في تفسير مظاهر الوحي التي كان يراها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحيانا ، فمن المستشرقين من يرجع ذلك إلى "صرع" كان ينتاب النبي صلى الله عليه وسلم حينا بعد حين. ومنهم من يرجعه إلى تخيلات كانت تملأ ذهن النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنهم من يفسرها بمرض نفسي، وهكذا كأن الله لم يرسل نبيا قبله حتى يصعب عليهم تفسير ظاهرة الوحي.

٥. التشكيك في صحة الحديث النبوي الذي اعتمده علماؤنا المحققون ويتضرع هؤلاء المستشرقون بما دخل على الحديث النبوي من وضع ودس متجاهلين تلك الجهود التي بذلها علماؤنا لتنقية الحديث الصحيح من غيره .

٦. التشكيك في الفقه الإسلامي ، ذلك التشريع الهائل الذي لم يجتمع مثله بجميع الأمم في جميع العصور، فقد زعموا بأن هذا الفقه العظيم مستمد من الفقه الروماني، أو أنه مستمد منهم – الغربيين – وقد بين علماؤنا الباحثون تهافت هذه الدعوى، وفيما قرره مؤتمر القانون المقارن المنعقد بلاهاي من الفقه الإسلامي فقه مستقل بذاته وليس مستمدا من أي فقه آخر ما يفصم المتعنتين منهم. ويقنع المنصفين الذين لا يبغون غير الحق سبيلا .

خلاصة ما سبق :

زبدة المقال وخلاصة ما سبق :

من خلال ما سبق نصل إلى نقاط مهمة في أهداف الاستشراق مجملها ما يلي :

تعددت أهداف الاستشراق وكان من أبرزها ما يلي:

أولاً: الهدف الديني (حرب الإسلام) :

- يعمل الاستشراق على اتهام الإسلام وتاريخه بأنه العداوة والظلام والجهل .

٢. القضاء على وحدة المسلمين بإشعال نار الخصومة بتشييد النظريات العنصرية والطائفية في الشرق الأوسط .

٣ . مساندة الاستعمار في تحقيق أهدافه من التشكيك في الإسلام وفكره وغرس الفكر الغربي في النفوس .

٤ . تشويه صورة الإسلام في نفوس الغربيين لصدهم عن اعتناق الإسلام.

ثانياً: الهدف الاقتصادي ، ويرتكز في :
السعي لاستغلال خيرات وثروات الشعوب الإسلامية، وذلك بالدراسات التي قاموا بها بخصوص وصف منابع الثروات في البلاد الإسلامية

ثالثا: الهدف الاستعماري والسياسي :
١ .تهيئة العقل المسلم لتقبل الاستعمار والخضوع الإرادي له، باعتبار الغرب المنقذ للشرق في كل ما يعانيه من مشكلات وتخلف .
٢ . تهيئة تلاميذ (عملاء) للاستعمار لبث سموم الاستشراق في العالم المسلم .

رابعاً : الهدف العلمي :
أولا : أهداف منصفة : وتعتمد على البحث والتمحيص ودراسة التراث العربي والإسلامي دراسة منصفة ، وهم قليل ومن أمثلتهم "توماس أرنولد" حين أنصف المسلمين في كتابه العظيم " الدعوة إلى الإسلام ومنهم أيضا المستشرق الفرنسي الفنان "دينيه" الذي أعجب بالإسلام وأعلن إسلامه وتسلامى باسم "ناصر الدين دينيه" وقد ألف كتابا عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وله كتاب «أشعة خاصة بنور الإسلام» يبين فيه تحامل قومه على الإسلام ورسوله.
ثانيا : أهداف مغرضة : وهي تركز على ما يلي :
•دس السم في العسل عند تمحيصهم لكتب التراث عن طريق تشويه الحقائق وتزييف الوعي .
•التشكيك في قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور العلمي لنظل عالة على مصطلحاتهم .
•التشكيك في صحة رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ومصدرها الإلهي .
٥. التشكيك في صحة الحديث النبوي الذي اعتمده علماؤنا المحققون .
٦. التشكيك في الفقه الإسلامي والزعم بأنه مستمد من القانون الروماني أو منهم أي – الغربيين – .

المحاضـرة الخامسة
العلاقة بين الاستشراق والتنصير

عناصر المحـــاضرة :
أولا : الاستشراق والتنصير وجهان لعملة واحدة .
ثانيا : علاقة الاستشراق والتنصير بالإسلام علاقة عدائية .
ثالثا : الشعور بالفوقية .
رابعا : اتكأ التنصير كثيرا على الاستشراق في الحصول على المعلومات عن المجتمعات المستهدفة .
خامسا : البداية " الرسمية " للاستشراق انطلقت من مجمع فينا الكنسي سنة ٧١٢ هـ ١٣١٢ م.
سادسا : استشراء الاستشراق وانتشاره كان تحت رعاية الكنيسة وبمباركتها .

العلاقة بين الاستشراق والتنصير :
إن العلاقة بين الاستشراق والتنصير مسلّم بها عند أغلب المستشرقين ، قبل التسليم بها من قبل الدارسين للاستشراق من العرب والمسلمين، والصلة بين الاستشراق والتنصير لا تزال قائمة وستظل كذلك ، مهما جرت المحاولات لفكها، إذ لا يزال هناك مستشرقون منصرون، وسيظل هناك منصرون مستشرقون ، بل إنه ما دام هناك تنصير فهناك استشراق، ذلك أن المنصر لاسيما في البلاد الإسلامية ؛ مضطر إلى دراسة المجتمع المستهدف للتنصير، وبالتالي فإنه مضطر إلى الرجوع إلى النتاج الاستشراقي في الدراسة والتعرف على هذه المجتمعات المستهدفة.

ـ أولا : أن الاستشراق والتنصير وجهان لعملة واحدة :
هناك صلة وثيقة وترابط قوي بين الاستشراق والتنصير فهما وجهان لعملة واحدة، وفيما يلي نعرض للشواهد التي تدل على ذلك :
١ ـ كان أوائل المستشرقين من الرهبان والقساوسة، ذلك أن فئة منهم لم تتورع عن قبول اللقب الديني، أو الرتبة الدينية "الأب" أو "الأسقف" أو "البطريرك" أو "المطران" سابقا للاسم الأصلي ، ومن المنصرين المستشرقين على سبيل المثال لا الحصر : "سلفستر الثاني" أو " جربرت " الذي درس في الأندلس وأمر بإنشاء المدارس وترجمة الكتب العربية كان راهباً وترقى في درجات الرهبنة حتى تولى سدنة البابوية عام (٩٩٩م) ، ومنهم الراهب الفرنسي " بطرس " الملقب بـ " المحترم" الذي أمر بأولُ ترجمة للقرآن الكريم بهدف تنصير المسلمين.

يقول برهان فوك في كتابه تاريخ حركة الاستشراق والدراسات العربية والإسلامية في أوروبا :
"إن كثيرا من المستشرقين قد بدؤوا حياتهم العلمية بدراسة اللاهوت قبل التفرغ لميدان الدراسات الاستشراقية وكان همهم إرساءَ نهضة الكنيسة وتعاليمها ، لا سيما في العصور الوسطى ' أي أن

هدفهم كان تنصيريا واضحا ، فكأن الاستشراق إنما قام ليغذي التنصير بالمعلومة المنقولة بلغة المنصر" .

٢ ـ أن التنصير اعتمد كثيراً على الاستشراق في الحصول على معلومات عن المجتمعات المراد تنصيرها، فالاستشراق هو الهيئة الاستشارية للتنصير، والمصدر المعرفي للمنصرين.
والمستشرق يدرس علوم المسلمين، ويقوم باستخراج الشبهات ، والمنصّر ـ بعد ذلك ـ يعمل على بث الشبهات ونشرها في الوسط الذي يعمل فيه. وقد لاقى إنتاج المستشرقين رواجاً على أيدي المنصرين ومعاهدهم وإرسالياتهم وجامعاتهم.

٣ ـ أن التنصير هو أحد الأهداف التي يسعى المستشرقون إلى تحقيقها في دراستهم للإسلام:
فالمستشرقون والمنصرون يعملون في حقل واحد ولتحقيق أهداف مشتركة، مع الاختلاف في الأسلوب، فإذا كان الاستشراقُ اتخذ صورة البحث والطابع الأكاديمي، فإن التنصير قد سلك أسلوب المساعدات الطبية والغذائية وإنشاء المستشفيات والملاجئ ودور الأيتام، وغير ذلك من الأساليب التي ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب.

ويشير المستشرق "رودي باريت" إلى علاقة الاستشراق بالتنصير والهدف الأساسي الذي انطلق منه الاستشراق فيقول:
(كان الهدف من هذه الجهود _ الاستشراقية _ هو التبشير ، وهو إقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الإسلام واجتذابهم إلى الدين المسيحي) .
وإذا كان الاستشراق قد قام على أكتاف الرهبان وانبثق من الكنيسة في أول نشأته، فإن العلاقة لا تزال مستمرةً بين الجانبين حتى الوقت المعاصر، فقد عمل عدد من المستشرقين مع الدوائر التنصيرية وكان من المستشرقين الذين تميزوا في مجال التنصير في العالم الإسلامي :
"الفريد جيوم" الإنجليزي والمستشرق الاسكتلندي "روبرت سميث" والمستشرق الراهب الفرنسي "هنري لامانس" .
٤ ـ تداخل الأدوار بين المستشرقين والمنصرين : إلى حد أنه أصبح من الصعوبة – أحياناً- التميز بين المستشرقين والمنصرين، إذ كان هناك فئة من المستشرقين بدأوا حياتهم في التركيز على الدراسات الاستشراقية ثم استهواهم التنصير، فانصرفوا إليه ومن تلك الفئة: المنصر المستشرق "صموئيل زويمر".

ثانيا : أن علاقة الاستشراق والتنصير بالإسلام علاقة عدائية :
إن أساس العلاقة بين الاستشراق والتنصير قامت على العداء للإسلام ورفضه بديلا للنصرانية في الشرق وغيره ، بما في ذلك حماية النصارى الشرقيين من الإسلام ، والتأثير على الأرثوذوكس في الشرق واستقطابهم للكنيسة الكاثوليكية في الغرب
يقول " إدوارد سعيد " عن هذا التكتل العدائي للإسلام بين الاستشراق والتنصير : وقد " تواصل هذا المزيج من الفزع والعداء حتى يومنا هذا ".

ثالثا : يربط بين الاستشراق والتنصير الشعور بالفوقية على بقية أمم الأرض ، بما فيها المسلمين ، وهذا الشعور قد انطلق من الكنيسة الغربية بتأثير وعاظ الكنائس والقسس والرهبان ، فخلق فيهم حالة نفسية استعلائية ، صبغت العقلية الغربية والفكر الغربي في القرون الوسطى " وقد صدق المستشرقون هذه النظرة " ولم يكلفوا أنفسهم تبديلها مع عيشهم الطويل بين المسلمين أو من زياراتهم المتكررة واطلاعهم على القرآن الكريم والحديث الشريف " ، فاستمر شعورهم العميق بتفوق ما لديهم إن حقا وإن باطلا ، في الوقت الذي رأوا فيه بطلان ما لدى غيرهم لعدم اتفاقه مع ما لديهم من دين وثقافة وفكر .

رابعا : أن التنصير اتكأ كثيرا على الاستشراق في الحصول على المعلومات عن المجتمعات المستهدفة لا سيما الإسلامية ، وخاصة عندما انتقل مفهوم التنصير من مجرد الإدخال في النصرانية إلى تشويه الإسلام والتشكيك في الكتاب والسنة والسيرة وغيرها ، فكان فرسان في هذا التطور في المفهوم هم المستشرقين .

خامسا : أن البداية " الرسمية " للاستشراق قد انطلقت من مجمع فينا الكنسي سنة ٧١٢ هـ ١٣١٢ م الذي أوصى بإنشاء عدة كراسي للغات ، ومنها اللغة العربية ، والغرض من هذا كان تنصيريا صرفا وكنسيا لا علميا .

سادسا : أن استشراء الاستشراق وانتشاره كان تحت رعاية الكنيسة وبمباركتها عندما ثبت فشل الحروب العسكرية ، فاتجهت الكنيسة الغربية إلى التنصير من خلال الفكر والثقافة والعلم ، فكان التوجه إلى ما نسميه اليوم بالغزو الفكري لتحقيق ما فشل فيه سلاح الغزو الحربي هذا الغزو الذي اتخذ من الاستشراق منطلقا له ، سعى من خلاله إلى تشويه الإسلام بطرق شتى ، لا تتعدى كونها جملة من الإسقاطات التي نالت حظا طيبا من النقاش والرد في زمان إطلاقها وبعده من كثير من المسلمين .

وعلى الرغم من دحض شبهات المستشرقين وتفنيدها ،إلا أن طريقتهم نجحت في الغزو الفكري الذي كان بمثابة الحرب الباردة أكثر من حروبهم الصليبية المسلحة وكان لها ثمار كثيرة ، يقول إدوارد سعيد : وقد عبر عن هذه الثمار " لول " حين دعا لارتداد العرب إلى النصرانية من الإسلام ، وقبله كان " الإخوة الفرنسيسكان " قد توغلوا في أعماق آسيا يدفعهم حماسهم التنصيري ، ومع أن آمالهم لم تتحقق في وقتها إلا أن الروح التنصيرية قد تنامت منذئذ ، وهذا يعني بتعبير أوضح " إقناع المسلمين ببطلان الإسلام ، واجتذابهم إلى الدين النصراني وهذا مما أدى إلى استنتاج أن التنصير هو الأصل الحقيقي للاستشراق ، " وليس العكس صحيحا كما يذهب أغلب الباحثين .

خلاصة ما سبق :

خلاصة ما سبق وزبدة المقال فيه :
من خلال ما سبق نصل إلى أن العلاقة بين الاستشراق والتنصير ترتكز في عدة نقاط مهمة منها :
أولا : أن الاستشراق والتنصير وجهان لعملة واحدة ، ويشهد لذلك ما يلي :
١ ـ كان أوائل المستشرقين من الرهبان والقساوسة : ومنهم على سبيل المثال لا الحصر : "سلفستر الثاني" أو " جربرت ومنهم الراهب الفرنسي " بطرس " الملقب بـ " المحترم" .
٢ ـ أن التنصير اعتمد كثيراً على الاستشراق في الحصول على معلومات عن المجتمعات المراد تنصيرها، فالاستشراق هو الهيئةُ الاستشارية للتنصير، والمصدر المعرفي للمنصرين.
٣ ـ أن التنصير هو أحد الأهداف التي يسعى المستشرقون إلى تحقيقها في دراستهم للإسلام .
٤ ـ تداخل الأدوار بين المستشرقين والمنصرين : إلى حد أنه أصبح من الصعوبة – أحياناً- التميز بين المستشرقين والمنصرين
ثانيا : أن علاقة الاستشراق والتنصير بالإسلام علاقة عدائية .
ثالثا : الشعور بالفوقية .
رابعا : أن التنصير اتكأ كثيرا على الاستشراق في الحصول على المعلومات عن المجتمعات المستهدفة .
خامسا : أن البداية " الرسمية " للاستشراق قد انطلقت من مجمع فينا الكنسي سنة ٧١٢ هـ ١٣١٢ م.
سادسا : أن استشراء الاستشراق وانتشاره كان تحت رعاية الكنيسة وبمباركتها .

المحاضـرة السادسة

العلاقة بين الاستشراق والاستعمار

عناصر المحـــاضرة :
أولا : وحدة الأهداف بين الاستشراق والاستعمار .
ثانيا : خدمة الاستشراق للأهداف السياسية الاستعمارية .
ثالثا : تبادلُ الأدوار والمصالح المشتركة بين الاستشراق والاستعمار .
رابعا : عمل عدد من المستشرقين في خدمة حكوماتهم الاستعمارية .
خامسا : تمويل الحكومات الغربية لمراكز الدراسات الاستشراقية وفق ما يحقق مصالحها .

العلاقة بين الاستشراق والاستعمار:
تظهر العلاقة بين الاستشراق والاستعمار من خلال عدة نقاط نوجزها فيما يلي :

أولا : وحدة الأهداف بين الاستشراق والاستعمار :

حيث عمل العديد من المستشرقين على التمهيد للاستعمار، إذ كانوا طلائع الغرب في البلاد الإسلامية، وعملوا على تهيئة نفوس سكان هذه البلاد لقبول النفوذ الأوروبي والرضا بولايته، وذلك من خلال إضعاف القيم الإسلامية في نفوس المسلمين وتمجيد القيم الغربية والمسيحية .

لقد ظل هدف الاستشراق والاستعمار بمثابة الشيء الواحد لفترة طويلة من الزمن، وهذا ما يشير إليه في قول أحد الباحثين : (فمن وحدة الهدف والأطماع انبثقت العلاقة بين الاستشراق والاستعمار منذ بداية الفكرة الصليبية إلى ميلاد الفكرة الصهيونية، التي تسيطر الآن على سياسة الغرب بجميع أشكالها نحو العرب).

ثانيا : خدم الاستشراق الأهداف السياسية الاستعمارية للدول الغربية :

سار المستشرقون في ركاب الاستعمار وقدموا معلومات موسعة ومفصلة عن الدول التي رغبت الدول الغربية في استعمارها والاستيلاء على ثرواتها وخيراتها ، وقد اختلط الأمر في وقت من الأوقات بين المستعمر والمستشرق فقد كان كثير من الموظفين الاستعماريين على دراية بالشرق لغة وتاريخاً وسياسة واقتصاداً ، وقد أصدر - على سبيل المثال- مستشرق بريطاني كتاباً من أربعة عشر مجلداً بعنوان: (دليل الخليج: الجغرافي والتاريخي) وكان الموظف الاستعماري لا يحصل على الوظيفة في الإدارة الاستعمارية ما لم يكن على دراية بالمنطقة التي سيعمل بها.

ثالثا : تبادلُ الأدوار والمصالح المشتركة بين الاستشراق والاستعمار :
فإذا كان الاستشراق يقدم الخلفية الفكرية للمستعمرين، مع تهيئة تلك البلاد لتقبل الاستعمار، فإن الحكومات الاستعمارية قد عملت على تهيئة الدعم المادي وتسخير الإمكانيات لخدمة المستشرقين، بما توفره تلك الحكومات الاستعمارية من اعتماد الميزانيات لمراكز البحث ودعمها، وكراسي التدريس بالجامعات، ووسائل النشر والإعلام لنتاج الباحثين المستشرقين.

رابعا : عمل عدد من المستشرقين في خدمة حكوماتهم الاستعمارية على اعتبار أنهم رحالة، أو تحت غطاء الدراسات العملية.
ومن الأمثلة على ذلك:
- اعتمد "نابليون" في حملته على مصر على ما كتبه المستشرق الرحالة الفرنسي "فولفني".
- عمل المستشرق "روسو" الإيطالي على التمهيد لاستعمار بلاده لطرابلس.
- ساهم المستشرق "إدوارد هنري بالمر" في تهيئة الاستعمار البريطاني لمصر عام (١٨٨٢م)
وهناك من المستشرقين من خدموا الاستعمار بصفة رسمية:
فمن ذكر أعلاه من المستشرقين خدموا بلادهم الاستعمارية تحت مسميات: الرّحالة والمكتشفين والتظاهر بحب المغامرة والتعرف على البلاد الإسلامية.

إلا أن هناك طائفة من المستشرقين عملوا بصفة رسمية كمستشاريين لوزارات الخارجية لبلدانهم تمهيداً للاستعمار ومن أبرزهم :
- "ماكدونالد" خدم الاستعمار البريطاني للقارة الهندية.
- "هاملتون جب" ، في خدمة الحكومة الإسرائيلية والأمريكية .
العلاقة بين الاستشراق والاستعمار:
خامسا : تمويل الحكومات الغربية لمراكز الدراسات الإستشراقية المعنية بالدراسات الإسلامية في الشرق وفق ما يحقق مصالحها : وذلك يؤكد ارتباط الدراسات العربية الإسلامية بالأهداف السياسية الاستعمارية ، وقد مولت الحكومة الأمريكية عدداً من مراكز الدراسات العربية الإسلامية في العديد من الجامعات الأمريكية ، وما زالت تمول بعضها إما تمويلاً كاملاً أو تمويلاً جزئياً وفقا لمدى ارتباط الدراسة بأهداف الحكومة الأمريكية وسياستها.

خلاصة ما سبق :

خلاصة العلاقة بين الاستشراق والاستعمار :
أولا : وحدة الأهداف بين الاستشراق والاستعمار : حيث عمل العديد من المستشرقين على التمهيد للاستعمار وتهيئة نفوس سكان البلاد الإسلامية لقبول النفوذ الأوروبي والرضا بولايته، وذلك من خلال إضعاف القيم الإسلامية في نفوس المسلمين وتمجيد القيم الغربية والمسيحية .

ثانيا : خدم الاستشراق الأهداف السياسية الاستعمارية للدول الغربية : حيث قدم المستشرقون معلومات موسعة ومفصلة عن الدول التي رغبت الدول الغربية في استعمارها والاستيلاء على ثرواتها وخيراتها .
ثالثا : تبادلُ الأدوار والمصالح المشتركة بين الاستشراق والاستعمار : حيث قدم الاستشراق الخلفية الفكرية للمستعمرين ، وعملت الحكومات الاستعمارية ت على تهيئة الدعم المادي وتسخير الإمكانيات لخدمة المستشرقين .

رابعا : عمل عدد من المستشرقين في خدمة حكوماتهم الاستعمارية على اعتبار أنهم رحالة، أو تحت غطاء الدراسات العملية : ومن الأمثلة على ذلك : اعتمد "نابليون" في حملته على مصر على ما كتبه المستشرق الرحالة الفرنسي "فولفني" ، وعمل المستشرق "روسو" الإيطالي على التمهيد لاستعمار بلاده لطرابلس ، وساهم المستشرق "إدوارد هنري بالمر" في تهيئة الاستعمار البريطاني لمصر.
هناك طائفة من المستشرقين عملوا بصفة رسمية كمستشاريين لوزارات الخارجية لبلدانهم تمهيداً للاستعمار ومن أبرزهم :
- "ماكدونالد" الذي خدم الاستعمار البريطاني للقارة الهندية ، ومنهم "هاملتون جب" الذي عمل في خدمة الحكومة الإسرائيلية والأمريكية .
خامسا : تمويل الحكومات الغربية لمراكز الدراسات الإستشراقية المعنية بالدراسات الإسلامية في الشرق وفق ما يحقق مصالحها .

المحاضرة السابعة
موقف المستشرق غوستاف لوبون من القرآن الكريم

عناصر المحـــاضرة :
مدخـــــــــــــــل .
أولا : مقولات إنصافية للقرآن ومضامينه في منطق لوبون .
ثانيا : تطواف حول سقوط " لوبون " في هاوية الطعن في القرآن .
مدخـــــــــــــــل :

القرآن هو وحي الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو كتابه الخالد الذي تكفل بحفظه في حروفه وكلماته، وسوره وآياته، قال تعالى : (إِنَّا نَحنُ نَزَّلنَا ٱلذِّكرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ) وهو كتابه المعجز في نظمه وترتيبه، ومعانيه وأخباره، وأراد كثير من المستشرقين التشكيك في المسلَّمات، ومناقشة البدهيات، فألقوا شبهاتهم حول جمع القرآن وتدوينه، وترتيب سوره وآياته، محاولين بثّ الشك حول هذا الكتاب الخالد، وزعزعة الثقة به في نفوس المسلمين، ولكن باءت محاولاتهم بالفشل، وأسقط في أيديهم، وتساقطت شبهاتهم أمام أسوار الحق المنيعة (بَل نَقذِفُ بِٱلحَقِّ عَلَى ٱلبَٰطِلِ فَيَدمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞ وَلَكُمُ ٱلوَيلُ مِمَّا تَصِفُونَ) ولقد أردنا أن نتناول موقف المستشرق " غوستاف لوبون " كنموذج لموقف هؤلاء المستشرقين من القرآن عارضين جزءا من إنصافه وجزءا من شبهاته في ذلك متعقبين لها بالرد والتفنيد.

موقف المستشرق غوستاف لوبون من القرآن الكريم :

عرف المستشرق " غوستاف لوبون " في نظرته للقرآن والإسلام بالإنصاف حينا وبالتخبط أحيانا ، يقول الدكتور عبد القهار العاني :

"على الرغم من اعتدال منهج " غوستاف لوبون " ووضوح أحكامه وصراحته في مواضع متعددة إلا أننا نجده في مواضع أخرى متأثرا بآراء أولئك المستشرقين الذين يخلطون في موضوع الوحي أو القرآن ومصدره ، والإسلام وربانيته ، وقد تحدث غوساف لوبون عن القرآن الكريم حديثا مليئا بالأخطاء العلمية مما يدل على جهله أو تجاهله بحقيقة القرآن الكريم وتاريخه إذ يقول: " القرآن هو كتاب المسلمين المقدس، ودستورهم الديني والمدني والسياسي الناظم لسيرهم، وهذا الكتاب المقدس قليل الارتباط مع أنه أنزل وحيا من الله على محمد، وأسلوب هذا الكتاب - وإن كان جديراً بالذكر أحيانا - خال من الترتيب فاقد السياق كثيرا، ويسهل تفسير هذا لدى النظر في كيفية تأليفه فقد

موقف المستشرق غوستاف لوبون من القرآن الكريم :

كتب تبعاً لمقتضيات الزمن بالحقيقة، فإذا ما اعترضت محمداً معضلة أتاه جبريل بوحي جديد حلاً لها، ودوَّن ذلك في القرآن، ولم يُجمع القرآن نهائيا إلا بعد وفاة محمد. والقرآن مؤلف من مئة وأربع عشرة سورة وكل سورة مؤلفة من آيات، ومحمد هو الذي يتحدث فيها باسم الله على الدوام ، ويعد العرب القرآن أفصح كتاب عرفه الإنسان ، ومع ما فيه من مبالغة شرقية نعترف بأن آيات القرآن موزونة رائعة لم يسبق إليها كتاب ديني آخر ، وتقرب فكرة الكون الفلسفية في القرآن مما في

الديانتين الساميتين العظيمتين اللتين ظهرتا قبل الإسلام أي اليهودية والنصرانية " ...هذه زبدة متضاربة حول القرآن وردت على لسان غوستاف لوبون ، فهي تمدح وتقدح ، ونوجز فيما يلي لموقفه من القرآن متعقبين بالرد والتفنيد لما يقتضي ذلك من مقال أو شبهة صدرت عنه بمنهج علمي موضوعي بعيداً عن التهويل والاتهام ، وبعبارات موجزة صريحة :

أولا :مقولات إنصافية للقرآن ومضامينه في منطق لوبون :

١ ـ صلاحية القرآن لكل زمان في منطق " غوستاف لوبون " :
نظم "غوستاف لوبون " قولا عظيما عن صلاحية القرآن لكل زمان ومناسبة نصوصه وأحكامه لكل مكان حتى لكأنه نظم شعرا يمتدح فيه القرآن ، يقول:
"حسْب هذا الكتاب (يعني القرآن) جلالة ومجدا أن الأربعة عشر قرنا التي مرت عليه لم تستطع أن تجفف ولو بعض الشئ من أسلوبه الذي لا يزال غضا ، كأن عهده وعهد رسالته بالوجود أمس " وتلك شهادة من " لوبون " للقرآن تفحم بني جلدته من الألداء .

٢ . " لوبون " يقر بتفرد الإسلام بتوحيد الله :
ضرب لوبون مقارنة حاسمة في كلمات موجزة بين الإسلام والنصرانية وغيرها وركز على توحيد الله وأثره في استيعاب عقيدة الإسلام التي أقامها القرآن بقوله : "إن الإسلام يختلف عن النصرانية في كثير من الأصول، ولا سيما في التوحيد المطلق الذي هو أصل أساسي، وذلك أن الإله الواحد، الذي دعا إليه الإسلام، مهيمن على كل شيء، ولا تحفّ به الملائكة والقديسون وغيرهم ممن يفرض تقديسهم . (أي كما في النصرانية) وللإسلام وحده أن يباهي بأنه أول دين أدخل التوحيد إلى العالم " .
ويشير لوبون إلى يسر الإسلام، وسهولته البالغة والتي تتمثل في عقيدة التوحيد الخالص التي تجعل إدراك الإسلام سهلا على كل إنسان، فليس في الإسلام غموض ولا تعقيد، مما نراه في الأديان الأخرى وتأباه الفطرة السليمة، من المتناقضات والغوامض ، يقول :

" ولا شيء أكثر وضوحا، وأقل غموضا، من أصول الإسلام القائلة بوجود إله واحد، وبمساواة جميع الناس أمام الله وببضعة فروض يدخل الجنة من يقوم بها، ويدخل النار من يعرض عنها. وإنك، إذا ما اجتمعت بأي مسلم من أية طبقة، رأيته يعرف ما يجب عليه أن يعتقده، ويسرد لك أصول الإسلام في بضع كلمات بسهولة ، وهو بذلك على عكس النصراني الذي لا يستطيع حديثا عن التثليث، والاستحالة، وما ماثلهما من الغوامض، من غير أن يكون من علماء اللاهوت الواقفين على دقائق الجدل " .
٣ . دحضه لشبهة انتشار القرآن بالسيف :تصدى " لوبون " بقوة لفرية انتشار القرآن بالسيف ، وقد أورد الدكتور العاني قول لوبون " حول هذه الفرية المغرضة وهو :
"رأى أعداء الإسلام من المؤرخين العجب من سرعة انتشار القرآن العظيمة، فعزوها إلى ما زعموه من تحلل محمد وبطشه، ويسهل علينا أن نثبت أن هذه المزاعم لا تقوم على أساس، لأن من يقرأ القرآن يجد فيه ما في الأديان الأخرى من الصرامة " .

ويبرر غوستاف لوبون قوله بعدم انتشار القرآن بالقوة بقوله :
" إن القوة لم تكن عاملاً في انتشار القرآن ، فقد ترك العرب المغلوبين أحراراً في أديانهم .. فإذا حدث أن انتحل بعض الشعوب النصرانية الإسلام واتخذ العربية لغة له؛ فذلك لما كان يتصف به العرب الغالبون من ضروب العدل الذي لم يكن للناس عهد بمثله، ولما كان عليه الإسلام من السهولة التي لم تعرفها الأديان الأخرى".
وتتجلى عظمة القرآن في منطق " لوبون " في مسمحته ومرحمة نصوصه، يقول"غوستاف لوبون " في ذلك : "رأينا من آي القرآن أن مسامحة محمد لليهود والنصارى كانت عظيمة إلى الغاية، وأنه لم يقل بمثلها مؤسسوا الأديان التي ظهرت قبله كاليهودية والنصرانية على وجه الخصوص " ، إذن قول لوبون عن انتشار الإسلام في محموعه يعد حجر عثرة وشوكة في حناجر الأدعياء الصغار من المستشرقين الذين ثرثروا بهرطقة لا وزن لها حول كيفية انتشار القرآن أو الإسلام وأنه انتشر بالسيف ، وملئوا الفضاء عجيجا وضجيجا بهذه الهرطقات الفارغة .

٤. دفاع " لوبون" عن مكانة المرأة وحقوقها في القرآن :
توجهت سهام المستشرق غوستاف لوبون نحو نحور أصحاب الادعاءات العفنة تجاه حقوق المرأة في القرآن ، ومن دفاعه عن القرآن في موقفه من المرأة ما يلي :
أ . ميرا ث المرأة : يقول " لوبون " : "والإسلام قد رفع حال المرأة الاجتماعي وشأنها رفعاً عظيماً بدلاً من خفضها، خلافاً للمزاعم المكررة على غير هدى، والقرآن قد منح المرأة حقوقاً إرثية أحسن مما في أكثر قوانيننا الأوربية". ويقول: "وتعد مبادئ الميراث التي نص عليها القرآن بالغة العدل والإنصاف..
ب : تعدد الزوجات : يفضح " لوبون " تلكؤ المغرضين وسفاهاتهم في مسألة تعدد الزوجات التي وردت في القرآن ، وأنها مسألة قديمة ثابتة في الشرائع السابقة وليست مستحدثة أو بدعا من الأمر ، يقول "وأن ما أباحه القرآن من تعدد الزوجات لم يكن غريباً على الشعوب المسلمة التي عرفته قبل ظهور محمد".
ويظهر من مقابلتي بينها ـ أي بين الشريعة الإسلامية والحقوق الفرنسية والإنجليزية ـ أن الشريعة الإسلامية منحت الزوجات ـ اللائي يُزعم أن المسلمين لا يعاشرونهن بالمعروف ـ حقوقاً في الميراث لا نجد مثلها في قوانيننا"
ج ـ الطلاق : يفضح " لوبون " عجز بعض مذاهب الكنيسة عن حل أزمة منع الطلاق ، وأن أوربا لم تخرج من تلك المعضلة إلا بسن قانون يبيح الطلاق ويحقق مطالب الفطرة ويضمن حق المرأة في حياة كريمة كالتي حققها الإسلام لها ، يقول " أباح القرآن الطلاق كما أباحته قوانين أوربا التي قالت به، ولكنه اشترط أن يكون (لِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ) .. وأحسن طريق لإدراك تأثير الإسلام في أحوال النساء في الشرق هو أن " نبحث في حالهن قبل القرآن وبعده "
٥ .وصف الأخلاق في القرآن عند لوبون : لم يتوان لوبون لحظة في دفاعه وإكباره لعظمة الأخلاق في القرآن وتفرد هذا الكتاب بكنوز أخلاقية لا مثيل لها في الأديان الأخرى ، يقول "لوبون ": " إن أصول الأخلاق في القرآن عالية علوّ ما جاء في كتب الديانات الأخرى جميعها، وإن أخلاق الأمم التي دانت له تحولت بتحول الأزمان والعروق مثل تحول الأمم الخاضعة لدين عيسى (عليه السلام)، إن

أهم نتيجة يمكن استنباطها هي تأثير القرآن العظيم في الأمم التي أذعنت لأحكامه، فالديانات التي لها ما للإسلام من السلطان على النفوس قليلة جدًا، وقد لا تجد دينًا اتفق له ما اتفق للإسلام من الأثر الدائم، والقرآن هو قطب الحياة في الشرق وهو ما نرى أثره في أدقّ شؤون الحياة" .

ثانيا : تطواف حول سقوط " لوبون " في هاوية الطعن في القرآن :

لم يختلف " لوبون " عن أقرانه من المستشرقين المنصفين في تعكير النبع الصافي الذي نهلوه بإنصافهم أثناء دراستهم للقرآن والإسلام ، إذ تجلى تخبط " لوبون " في نقاط كثيرة وبإثارة شبهات مدحوضة مدموغة بسهام الحق ، نورد منها على سبيل المثال ما يلي :

١ . زعمه بأن القرآن مقتبس من التوراة والإنجيل :

يقول غوستاف لوبون: " وإذا أرجعنا القرآن إلى أصوله أمكننا عدّ الإسلام صورة مختصرة عن النصرانية " ، وقال : " وما جاء في القرآن من نص على خلق السماوات والأرض في ستة أيام وخلق آدم والجنة وهبوط آدم منها ، ويوم الحساب مقتبس من التوراة ".

دحض هذه الفرية : لن نطنب كثيرا في تفنيد هذا الزعم ودحضه ، ونكتفي برد موجز ذكره الدكتور عبد القهار العاني في كتابه الاستشراق والدراسات الإسلامية ؛ يقول رادا على هذا الزعم :

" وهكذا نجد أن غوستاف لوبون يقع في الوهم الذي وقع فيه غيره من أن القرآن أو بعضه قد اقتبس من التوراة والإنجيل ، والأمر الذي يجب أن يعلم أن القرآن الكريم تحدى العرب والعجم والإنس والجن أن يأتوا بمثله سورا أو آيات ، قال تعالى (قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) والقرآن قد احتوى من المعارف والأنظمة وقصص الغيب ما لا نجده في الكتب التي سبقته " ويقول : " وأما عن القربى الوشيجة بالتوراة والإنجيل ، فإن القرآن الكريم والتوراة التي أنزلت على موسى والإنجيل الذي أنزل على عيسى كانت وحيا من الله ،وتتفق الكتب السماوية في الأصول العامة فهي تؤمن بالله وبالنبوة وباليوم الآخر وبالبعث والحساب والجنة والنار .... إلخ قبل أن يحل تحريف في التوراة والإنجيل " بهذا الرد الموجز دحض الدكتور العاني لهذه الفرية الشعواء .

٢ . زعم لوبون لشبهة اتهام النبي ﷺ بالهوس وإنكاره الوحي :

ادعى جوستاف لوبون إصابة النبي بالهوس ، وهذا الادعاء صدحت به ألسنة المغرضين من المستشرقين ، حيث زعموا أن النبي مصاب بالصرع والهوس ، ذلك تحليلهم لحال رسول الله عند نزول الوحي عليه ولتصببه عرقا حينها ، يقول " لوبون " : "ويجب عدُّ محمدٍ صلى الله عليه وسلم من فصيلة المتهوسين من الناحية العلمية كأكبر مؤسسي الديانات "

دحض ذلك الزعم :

أما زعم أن النبي ـ حاشاه ـ كان مصابا بالهوس أو الصرع فيردُّه النظر في سيرته، فقد عاش طوال حياته في صحة نفسية، وعصبية، وعقلية جيدة، لم يطرأ عليه أي خلل في عقله أو أعصابه، بل

كان كمال عقله مضرب الأمثال ، يقول عبد الكريم الخطيب: "أمجنون مصروع يبني دولة، وينشئ نظاماً، ويقيم ديناً، ويعيش في أجيال الناس، منذ قام إلى اليوم دون أن يصاب بنكسة أو خلل ؟ !!" .
ذلك أن صاحب الصرع الذي زعموه تصيبه نوبات فلا تذر عنده أي ذكر لما مر به أثناءها، بل ينسى هذه الفترة من حياته بعد إفاقته من نوبته نسياناً تاماً، ولا يذكر شيئا مما صنع أو حلّ به خلالها، مما يؤكد أن الوحي رباني المنشأ، ملائكي النقل، بشري التبليغ. فالوحي أمر غيبي آت من جهة غير إنسانية، خارجٌ عن مجال إرادة الرسول صلى الله عليه وسلم وعلمه واجتهاده، بل كان مبلغاً إياه بكل أمانة وصدق عن رب العالمين هدى مرعي، الأدلة على صدق النبوة .

، وأعجبني رد الفيلسوف الغربي " ول ديورانت " على هذا الزعم حين قال مندهشا من هذه الفرية :
" ولكننا لا نسمع أنه عض في خلالها لسانه أو حدث ارتخاء في عضلاته كما يحدث عادة في نوبات الصرع . وليس في تاريخ محمد ما يدل على انحطاط قوة العقل التي يؤدي إليها الصرع عادة ، بل نراه على الكفار يزداد ذهنه صفاء ، ويزداد قدرة على التفكير ، وثقة بالنفس ، وقوة في الجسم والروح والزعامة ، كلما تقدمت به السن حتى بلغ الستين من العمر . وقصارى القول إنا لا نجد دليلاً قاطعاً على أن ما كان يحدث للنبي كان من قبيل الصرع أو الهوس ومهما يكن ذلك الدليل فإنه لا ينقع أي مسلم متمسك بدينه "

٣ . إشكال " لوبون " حول كون القرآن كتب تبعاً لمقتضيات الزمن :
يوضح الدكتور العاني لهذا الإشكال الذي أثار حفيظة لوبون حول نزول القرآن فيقول :
نزل القرآن مفرقا على النبي صلى الله عليه وسلم في بضع وعشرين سنة ، وكان ينزل وفق الحوادث والأسئلة التي ترد ، وقد ينزل القرآن في غير ذلك مراعيا إصلاح النفس الإنسانية وفق منهج رباني خاص ، وإن وراء نزول القرآن مفرقا حكما وأسرارا منها ماذكر في القرآن في قوله تعالى : " وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا "وقال " وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ورتلناه ترتيلا " وتدل هذه الآية على حكمة التدرج في قراءة القرآن الكريم حيث أخذ النفوس بما يلائمها ولا يخرج عن طاقتها المحدودة من باب التدرج في التشريع ، إذ بهذا التدرج أقلعت النفوس عن كثير من

المساوئ الاجتماعية التي لم يستطع أي قانون أن يلغيها أو يحد منها ومنه التدرج في تحريم الخمر ، حيث لم يكن قاطعا في بداياته إلى أن أمر الله باجتنابه وحكم بحرمته بكلمة واحدة وهي قوله تعالى في القرآن " فاجتنبوه " ، وهذا يبرز قوة القرآن وعظمته ، ومدى فشل القوانين الوضعية ، فمثلا أنفقت أمريكا ملايين الدولارات واستخدمت كل وسائل الإعلام لتحريم وتجريم الخمر ، ولكنها فشلت ، حيث ابتكر الأمريكان إضافة للخمور نوعا جديدا سهل المنال وهو السبيرتو وغيره من السموم والمغيبات والمخدرات ، وهذا يبرز حكمة الإسلام في التدرج والذي نجح في جعل الخمور تسكب في الطرقات بعد مراحل حكيمة انتهت بقوله تعالى " فاجتنبوه " .
هذه بعض المقتطفات حول شبهات لوبون التي أثارها ضد القرآن والمجال في هذا الباب متسع ولكن لا مجال لدينا للإطناب فيه والكتب مليئة بالرد على مثل هذه الهرطقات .

خلاصة ما سبق :

زبدة المقال وخلاصة ما سبق :
تشعب موقف المستشرق " غوستاف لوبون " من القرآن بين الإنصاف وإثارة الشبهات أو بين المدح والقدح كالتالي :
← أولا :مقولات إنصافية للقرآن ومضامينه في منطق لوبون :
١ ـ صلاحية القرآن لكل زمان في منطق " غوستاف لوبون : نظم "غوستاف لوبون " قولا عظيما عن صلاحية القرآن لكل زمان ومناسبة نصوصه وأحكامه لكل مكان ، يقول :"حسْب هذا الكتاب (يعني القرآن) جلالة ومجدا أن الأربعة عشر قرنا التي مرت عليه لم تستطع أن تجفف ولو بعض الشئ من أسلوبه الذي لا يزال غضا ، كأن عهده وعهد رسالته بالوجود أمس " .
٢ . " لوبون " يقر بتفرد الإسلام بتوحيد الله : ضرب لوبون مقارنة حاسمة في كلمات موجزة بين الإسلام والنصرانية وغيرها وركز على توحيد الله وأثره في استيعاب عقيدة الإسلام التي أقامها القرآن بقوله : "إن الإسلام يختلف عن النصرانية في كثير من الأصول، ولا سيما في التوحيد المطلق الذي هو أصل أساسي، وللإسلام وحده أن يباهي بأنه أول دين أدخل التوحيد إلى العالم " ويقول : ولا شيء أكثر وضوحا، وأقل غموضا، من أصول الإسلام القائلة بوجود إله واحد ، وهو بذلك على عكس النصراني الذي لا يستطيع حديثا عن التثليث، والاستحالة، وما ماثلهما من الغوامض، من غير أن يكون من علماء اللاهوت الواقفين على دقائق الجدل " .
٣ . دحضه لشبهة انتشار القرآن بالسيف :تصدى " لوبون " بقوة لفرية انتشار القرآن بالسيف ، يقول : " "رأى أعداء الإسلام من المؤرخين العجب من سرعة انتشار القرآن العظيمة، فعزوها إلى ما زعموه من تحلل محمد وبطشه، ويسهل علينا أن نثبت أن هذه المزاعم لا تقوم على أساس، لأن من يقرأ القرآن يجد فيه ما في الأديان الأخرى من الصرامة " .
٤ . دفاع " لوبون" عن مكانة المرأة وحقوقها في القرآن : توجهت سهام المستشرق غوستاف لوبون نحو نحور أصحاب الادعاءات العفنة تجاه حقوق المرأة في القرآن ، ومن دفاعه عن القرآن في موقفه من المرأة ما يلي:
زبدة المقال وخلاصة ما سبق :
أ . ميرا ث المرأة : يقول " لوبون " : "والقرآن قد منح المرأة حقوقاً إرثية أحسن مما في أكثر قوانيننا الأوربية".
ب : تعدد الزوجات : يفضح " لوبون " تلكؤ المغرضين وسفاهاتهم في مسألة تعدد الزوجات التي وردت في القرآن ، وأنها مسألة قديمة ثابتة في الشرائع وأنها عادلة . ج ـ الطلاق : يفضح " لوبون " عجز بعض مذاهب الكنيسة عن حل أزمة منع الطلاق ، يقول " أباح القرآن الطلاق كما أباحته قوانين أوربا التي قالت به، ولكنه اشترط أن يكون (لِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ) .. وأحسن طريق لإدراك تأثير الإسلام في أحوال النساء في الشرق هو أن " نبحث في حالهن قبل القرآن وبعده " . ٥ .وصف الأخلاق في القرآن عند لوبون : لم يتوان لوبون لحظة في دفاعه وإكباره لعظمة الأخلاق في

القرآن وتفرد هذا الكتاب بكنوز أخلاقية لا مثيل لها في الأديان الأخرى ، يقول "لوبون ": " إن أصول الأخلاق في القرآن عالية علوّ ما جاء في كتب الديانات الأخرى جميعها" .

← ثانيا : تطواف حول سقوط " لوبون " في هاوية الطعن في القرآن : لم يختلف " لوبون " عن أقرانه من المستشرقين المنصفين في تعكير النبع الصافي الذي نهلوه بإنصافهم أثناء دراستهم للقرآن والإسلام ، إذ تجلى تخبط " لوبون " في نقاط كثيرة وبإثارة شبهات مدحوضة مدموغة بسهام الحق ، نورد منها على سبيل المثال ما يلي : ١ . زعمه بأن القرآن مقتبس من التوراة والإنجيل : يقول غوستاف لوبون: " وإذا أرجعنا القرآن إلى أصوله أمكننا عدّ الإسلام صورة مختصرة عن النصرانية " ، ٢ . زعم لوبون لشبهة اتهام النبي ﷺ بالهوس وإنكاره الوحي : ادعى جوستاف لوبون إصابة النبي بالهوس ، ٣ . إشكال " لوبون " حول كون القرآن كتب تبعاً لمقتضيات الزمن :يوضح الدكتور العاني لهذا الإشكال الذي أثار حفيظة لوبون حول نزول القرآن فيقول :نزل القرآن مفرقا على النبي صلى الله عليه وسلم في بضع وعشرين سنة ، وكان ينزل وفق الحوادث والأسئلة التي ترد ، وقد ينزل القرآن في غير ذلك مراعيا إصلاح النفس الإنسانية وفق منهج رباني خاص .

المحاضرة الثامنة
موقف المستشرق جولدتسيهر من القرآن الكريم

عناصر المحـــاضرة :
أولا :شبهات المستشرق جولدتسيهر حول القرآن الكريم .
١ . إنكاره للمصدر الإلهي للقرآن الكريم .
٢. رؤية " جولدتسيهر " في حديث القرآن عن اليوم الآخر .
٣. موقف "جولدسيهر" من القراءات القرآنية .
٤. شبهته حول المكي والمدني من القرآن .

موقف المستشرق جولدتسيهر حول القرآن الكريم :
يعد المستشرق اليهودي المجري جولدتسيهر (١٨٥٠-١٩٢١م) عمدة المستشرقين اليهود في التاريخ الحديث بل يعد بحق أهم مستشرق ظهر في الغرب خلال القرون الثلاثة الأخيرة ، فهو المسؤول عن إحياء الاهتمام اليهودي بالدراسات الإسلامية والعربية في العصر الحديث وهو من أعمدة المستشرقين ودهاتهم؛ ولا شك أنه قرأ كثيرا من الأصول والمصنفات الإسلامية، ولكنه منذ قرأ وكتب؛ لم يحمل بين جنبيه إلا فؤادا مملوءا بتكذيب الإسلام، فهو يدس إصبعه في كل شيء ليتخذ من أي شيء دليلا على أن محمدا كاذب وقرآنه مفتعل وسنته مختلقة، والإسلام كله منذ جاء إلى أن بلغنا مجموعة مفتريات.
وقد تأثر جولدتسيهر بالمدرسة الألمانية في الدراسات القرآنية والإسلامية، وكان على معرفة بأعمال نقد الكتاب المقدس في علم اللاهوت البروتستانتي، وارتباطه بفقه اللغة
أولا :شبهات المستشرق جولدتسيهر حول القرآن الكريم :
وجمع بين دراسات العهد القديم ودراسة القرآن الكريم.
ويعتبر "جولدسيهر" شيخ المستشرقين وأكبرهم ، اشتهر بدراسته للقرآن الكريم، وقام بإثارة شبهات كثيرة حول هذا المنهج الرباني والمصدر التشريعي الذي يستمد منه المسلمون كل أحكامهم الشرعية ، وفيما يلي نبين موقفه من القرآن :
أولا : إنكاره للمصدر الإلهي للقرآن الكريم :
يذهب "جولدسيهر" في تفسير الوحي الإلهي مذهب زملائه المستشرقين ، فهو يرى أنه من خلال النصف الأول من حياة النبي اضطرته مشاغله إلى الاتصال بأوساط استقى منها أفكارا أخذ يجترها في قرارة نفسه وهو منطو في تأملاته أثناء عزلته ، ثم انطلق ليدعو إلى الله متأثرا بظروف الفقراء والقهر الذي يعيشه مجتمعه.و"جولدزيهر" بإرادة الاقتباس يشير إلى عدم إمكان الوحي واستحالة حدوثه وأن ما يقوله الأنبياء عن الوحي
هو عبارة عن مسألة نفسية ترجع إلى تشبع المرء بحالة خاصة من فرط استغراقه فيها ، يقول "جولدزيهر": إن الرسول نفسه قد اضطر بسبب تطوره الداخلي الخاص، وبحكم الظروف التي

أحاطت به إلى تجاوز بعض الوحي القرآني إلى وحي جديد في الحقيقة، وإلى أن يعترف بأنه ينسخ بأمر الله ما سبق أن أوحاه الله إليه.

ثانيا : رؤية " جولدتسيهر " في حديث القرآن عن اليوم الآخر:

تنطلق رؤية جولدتسيهر لليوم الآخر من الشبهة السابقة حيث التشكيك في مصدر القرآن فقد قرر أن حديث القرآن عن اليوم الآخر والقيامة وأهوالها والكوارث التي ستنجم عن حدوثها مستقى من اليهودية والنصرانية ، يقول "جولدزيهر" : " إن ما يبشر به محمد والمتعلق بالدار الآخرة ليس إلا مجموعة من مواد استقاها بصراحة من الخارج يقينا، وأقام عليها التبشير ولقد استفاد من تاريخ العهد القديم، وكان ذلك في أكثر الأحيان عن طريق قصص الأنبياء " ،وقال في كتابه "العقيدة والشريعة" :" فتبشير النبي العربي ليس إلا مزيجاً من معارف وآراء دينية عرفها واستقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية .

زعم جولدتسيهر استحالة وجود نص موحد (مقدس) مجمع على الاعتراف به ، وبرهن لزعمه بتناول "قضية نزول القرآن على سبعة أحرف تناولا خبيثا في كتابه "مذاهب التفسير الإسلامي"افتتحه بقوله : "لا يوجد كتاب تشريعي اعترفت به طائفة دينية اعترافا عقديا على أنه نص منزل أو موحى به يقدم نصه في مثل هذه الصورة من الاضطراب وعدم الثبات كما نجد في نص القرآن" وقد أورد اللعين هذه العبارة الجهنمية استنادا إلى تعدد وجوه القراءات، ويستطرد في هذا الصدد قائلا: "ليس هناك نص موحد" .

واستهل جولدتسيهر زعمه بأمثلة لكي يعزز رأيه منها الآية الكريمة: (وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ) كما أورد الآية الكريمة ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾ حيث قرء " بشرا ": "نشرا" بالنون بدل الباء. كما أورد الآية ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾.

على هذا استنبط هذا المتعصب أن اختلاف الأحرف السبعة وقراءة الناس يرجع إلى الحرية المطردة بل إلى حد الحرية الفردية في إمكان قراءة النص على وجه لا يتفق بالكلية مع صورته الأصلية.

رابعا : شبهته حول المكي والمدني من القرآن :

تعرض جولدسيهر في سياق حديثه عن القرآن إلى التمييز بين القرآن المكي والمدني مستندا في ذلك إلى البحث النقدي والبلاغي للقرآن، فانطلق من الافتراضات والادعاءات التالية يقول :

١- هناك قرآنيين مختلفين: مكي ومدني.

٢- أن التشريع الإسلامي كان مفقودا في مكة.

٣- أن الدعوة المحمدية هي إرث روحي وأخلاقي لليهودية واستعدادات من الديانتين السابقتين على الإسلام .

خلاصة ما سبق :

زبدة المقال وخلاصة القول
شبهات المستشرق جولدتسيهر حول القرآن :أولا : إنكاره للمصدر الإلهي للقرآن الكريم : يذهب "جولدسيهر" في تفسير الوحي الإلهي مذهب زملائه المستشرقين ، فهو يرى أنه من خلال النصف الأول من حياة النبي اضطرته مشاغله إلى الاتصال بأوساط استقى منها أفكارا أخذ يجترها في قرارة نفسه . يقول "جولدزيهر": إن الرسول نفسه قد اضطر بسبب تطوره الداخلي الخاص، وبحكم الظروف التي أحاطت به إلى تجاوز بعض الوحي القرآني إلى وحي جديد في الحقيقة، وإلى أن يعترف بأنه ينسخ بأمر الله ما سبق أن أوحاه الله إليه.

ثانيا : رؤية " جولدتسيهر " في حديث القرآن عن اليوم الآخر:

يقول "جولدزيهر" : " إن ما يبشر به محمد والمتعلق بالدار الآخرة ليس إلا مجموعة من مواد استقاها بصراحة من الخارج يقينا، وقال في كتابه "العقيدة والشريعة" :" فتبشير النبي العربي ليس إلا مزيجاً من معارف وآراء دينية عرفها واستقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية . وأقام عليها التبشير ولقد استفاد من تاريخ العهد القديم .
ثالثا : موقف "جولدسيهر" من القراءات القرآنية :
زعم جولدتسيهر استحالة وجود نص موحد (مقدس) مجمع على الاعتراف به ، وبرهن لزعمه بتناول "قضية نزول القرآن على سبعة أحرف تناولا خبيثا في كتابه "مذاهب التفسير الإسلامي"افتتحه بقوله : "لا يوجد كتاب تشريعي اعترفت به طائفة دينية اعترافا عقديا على أنه نص منزل أو موحى به يقدم نصه في مثل هذه الصورة من الاضطراب وعدم الثبات كما نجد في نص القرآن" وقال : "ليس هناك نص موحد" .

رابعا : شبهة جولدتسيهر حول المكي والمدني من القرآن : زعم جولدتسيهر عدة شبهات حول المكي والمدني في قوله : ١- هناك قرآنيين مختلفين: مكي ومدني. ٢- أن التشريع الإسلامي كان مفقودا في مكة. ٣- أن الدعوة المحمدية هي إرث روحي وأخلاقي لليهودية واستعدادات من الديانتين السابقتين على الإسلام .

المحاضرة التاسعة

تفنيد مزاعم جولدتسيهر حول القرآن :

نتناول فيما يلي ردا موجزا على بعض شبهات المتعصب جولدتسيهر حول القرآن :
أولا : الرد على إنكاره للمصدر الإلهي للقرآن الكريم وما يتعلق باليوم الآخر (الشبهتين الأولى والثانية): استفاض جولدتسيهر في التشكيك في القرآن الكريم وأنه من عمل محمد صلى الله عليه وسلم وأن أحداث القيامة في القرآن مستقاة من اليهودية والمسيحية بقوله: "إن ما كان يبشر به محمدا خاصا بالدار الآخرة ، ليس إلا مجموعة مواد استقاها بصراحة من الخارج (اليهودية والمسيحية) وأقام عليها التبشير ... ثم يقول: "استفاد من تاريخ العهد القديم "، ولو أمعنا النظر جيدا في هذا الزعم نجده يدور حول نفس الرحى التي دار حولها غوستاف لوبون ، لذا سنكتفي بالرد الذي طرحناه على غوستاف لوبون فالشبهة واحدة وإن تغيرت صياغتها .
ولكن قبل أن أنتقل إلى الشبهة التالية تنتابني دهشة قوية تهز أركاني من طريقة دراسة هؤلاء

تفنيد مزاعم جولدتسيهر حول القرآن :

الصغار للقرآن ، ألم يقرأ هذا المستشرق، ولا أحسبه إلا قرأ قول الله تعالى ردا على ادعاءات المشركين بأن محمدا يفتري على الله الكذب:﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ لقد قرأ هذا يقينا ولكن الحقد أحرق في قلبه كل ما قرأ.
وقد رد الشيخ محمد الغزالي على هذا المستشرق فيما زعمه من أن محمدا اقتبس معارفه الإلهية ومبادئه التشريعية من راهب أو كاهن بقوله :
" ونحن نسخر من هذا المستشرق، فهذا القول في نظرنا - يشبه اتهام أحمد شوقي بأنه سرق معانيه من بيرم التونسي ، إن أمراء الشعر لا يسرقون من الزجالين" وإن محمدا الذي قدم للعالم أنفس العقائد والشرائع في أرقى أسلوب وأنصح بيان، لو كان أتى بهذا الدين من عند نفسه لا من عند الله، لكان معنى هذا أن البشر أقدر على صنع الأديان من رب البشر وإلا كيف يتصور أن القرآن عمل إنساني، وأن العهدين القديم والجديد عمل إلهي؟ !.
وقد فضحهم الله في هذا المقام بقوله : ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً ﴾.

ثانيا : الرد على شبهة جولدتسيهر حول القراءات :
زعم جولدتسيهر استحالة وجود نص موحد (مقدس) مجمع على الاعتراف به ، وبهذا الزعم يتسلل جولدتسيهر الخبيث لوازا ليثبت أن تعدد القراءات القرآنية شاهد على عدم وجود نص واحد صحيح للقرآن ، وأن القراءات تعددت لعدم التأكد من صحة القرآن ، نقول :

إن القراءات المتواترة مقطوع بصحة نسبتها إلى مصدرها الأصلي وهو النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوي والذي كان على بيّنة من اختلافها في النص الواحد؛ وشبهة جولدتسيهر مدحوضة للأسباب التالية :

١. وضح العلماء فوائد تعدد القراءات من حيث التوسع في اللغة والإثراء في المعنى وفي التشريع ، وكل ما يجب في القراءات هو التثبت من صحتها وتواترها كشرط في

قبولها، على أن اختلاف القراءات لا يتناول القرآن كلمة كلمة، وآية آية، ومن هنا لا يصح القول بأنه ليس هناك نص موحد للقرآن كما يدعي "جولدزيهر".

٢. أن القراءات السبع ثابتة بالتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد ساعد على احتمال هذه القراءات الضرورية انعدام الشكل والنقط في مصحف عثمان؛ كاختلاف القراءة في مثل قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾ ، وقرئ فتثبتوا ومعناها واحد، يقال: تثبت في الشيء تبينه.

٣ . أن اختلاف القراءات لا يبلغ بحال مبلغ التضاد أو التناقض؛ وقد حصر ابن الجزري أنواع الاختلاف في ثلاثة أحوال وهي : أ.اختلاف اللفظ والمعنى واحد .

ب . اختلافهما جميعا مع جواز اجتماعهما في شيء واحد، ج . واختلافهما جميعا مع امتناع جواز اجتماعهما في شيء واحد، ولكن يتفقان من وجه آخر ، قال تعالى:

﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾ ونستطيع أن نلمح في قراءات القرآن المختلفة أوْلى مراحل التفسير.

٤. أن زعم جولدتسيهر اضطراب القرآن واختلافه زعم قديم ؛ عبَّر عنه ابن قتيبة ـ قديمًا ـ، في قوله رحمه الله: "وكان مما بلغنا عنهم أنهم يحتجون بقوله عز وجل: (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) وبقوله: (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) وقالوا: وجدنا الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم يختلفون في الحرف...والقراء يختلفون؛ فهذا يرفع ما ينصبه ذاك، وذاك يخفض ما يرفعه هذا، وأنتم تزعمون أن هذا كله كلام رب العالمين، فأي شيء بعد هذا الاختلاف تريدون، وأي باطل بعد هذا الخطأ واللحن تبتغون؟!! ، وظاهر مما تقدم أن هذه الشبهة ذات شقين :

الأول: يعتبر اختلاف القراءات اضطراب في نص القرآن .

والثاني: يرى أن اختلاف القراءات يخالف ما أخبر الله به عن كتابه الحكيم، من نفي وجود الاختلاف فيه .

وفي الرد على الشق الأول من هذه الشبهة، نقول: إن معنى الاضطراب في النص: هو وروده على صور مختلفة أو متضاربة، لا يُعرف الصحيح الثابت منها، أما وروده على صور كلها صحيح، فليس في ذلك شيء من الاضطراب ، ثم إن قراءات القرآن المعتمدة، وإن اختلفت في النص الواحد قراءة، غير أنها كلها مقطوع بثبوتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإذا ثبتت القراءة سنداً ونقلاً، فلا مجال لردها أو إنكارها .

كما أن فيما أخبر به عليه الصلاة والسلام من أن (القرآن نزل على سبعة أحرف) والإذن بقراءته حسب ما تيسر من ذلك، ما يُثبت مشروعية القراءات القرآنية، وعدم الالتفات إلى قول من قال بخلاف ذلك .

أما الرد على الشق الثاني من هذه الشبهة، فجوابه : ما أسلفنا من إخباره صلى الله عليه وسلم (أن القرآن نزل على سبعة أحرف كلها شافٍ كافٍ، فاقرؤوا ما تيسر) وهذا المعنى بلغ مبلغ التواتر في هذه الأمة؛ ووجه دلالته: أن القرآن نزل على سبع لغات من لغات العرب، رحمة ورأفة بهم، إذ لو كلّفوا بقراءته على لغة واحدة لشق الأمر عليهم، ولَدَخَلَهم من العنت ما جاء الشرع الحكيم لرفعه عنهم؛ ولأجل هذا سأل صلى الله عليه وسلم ربه التخفيف في ذلك فأجابه إليه .

ثم إن الاختلاف ـ كما يقول أهل العلم ـ نوعان : اختلاف تغاير وتنوع، واختلاف تباين وتضاد؛ فأما اختلاف التضاد فلا يجوز في القرآن بحال، وهو غير موجود فيه عند التحقيق والتدقيق ، وأما اختلاف التغاير والتنوع فهو جائز وواقع، واختلاف القراءات من هذا الباب ، ففيه القراءة بالإمالة والتفخيم، والقراءة بالمد أو القصر، والقراءة بالهمز أو التسهيل، ونحو ذلك من القراءات الثابتة نقلاً متواترًا، لا شك في صحة ثبوتها.

يقول ابن تيمية رحمه الله في هذا المعنى: " ولا نزاع بين المسلمين أن الحروف السبعة التي أنزل القرآن عليها لا تتضمن تناقض المعنى وتضاده، بل قد يكون معناها متفقاً أو متقارباً، كما قالابن مسعود رضي الله عنه: إنما هو كقول أحدكم: أقبل، وهلمَّ، وتعال.."

وبناء على ما تقرر آنفًا، نقول: إن القراءات القرآنية الثابتة، ولو تغايرت في المعنى واللفظ، فكلها حق باتفاق المسلمين، ويجب الإيمان بها كلها، والعمل على وفقها؛ أما الاختلاف الذي نفاه الله تعالى عن القرآن فهو اختلاف التضاد والتناقض، وشتان ما هما...والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

ثالثا : الرد على شبهته حول المكي والمدني من القرآن :

تعرض جولدسيهر في سياق حديثه عن القرآن إلى التمييز بين القرآن المكي والمدني وادعى ما يلي :

١ـ أن هناك قرآنين مختلفين: مكي ومدني.

٢ـ أن التشريع الإسلامي كان مفقودا في مكة.

٣ـ أن الدعوة المحمدية هي إرث روحي وأخلاقي لليهودية واستعدادات من الديانتين السابقتين على الإسلام.

والرد عليه يأتي في نقاط أهمها :

١ . ليس هناك قرآنان مختلفان وما نزل من الوحي في مكة يكمل ما نزل في المدينة ، فهما متكاملان لا متعارضان ولا متباينان ولا منفصلان ، لأن الإسلام واحد ، وإذا لم يكن ما نزل من القرآن في مكة والمدينة واحدا كما أن الإسلام في مكة والمدينة دينا واحدا، فلن تكون اليهودية ولا المسيحية ديانات ... فالقرآن الذي في مكة هو نفس قرآن المدينة ، والإسلام في مكة هو الإسلام في المدينة في سورة الصافات ﴿ إِنَّ إِلَـهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴾. وفي سورة البقرة: ﴿وَإِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾. والأولى مكية والأخرى مدنية.

وفي سورة يونس ﴿إِنَّ فِي اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴾ ، وفي سورة آل عمران: ﴿إِن فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ ﴾. والأولى مكية والأخرى مدنية ، فالذي أنزل القرآن هنا وهناك واحد. والرجل الذي تلقاه في كلا البلدين واحد .

٢. أن زعمه بأن التشريع الإسلامي كان مفقودا في مكة باطل لأن المعاني والأغراض متشابهة بين مكة والمدينة والتشريع في المدينة مكمل لما كان في مكة وليس منفصلا عنه؛ وما تأسس في العهد الأول كان الدعامة لما جاء في العهد الثاني، يصدق بعضه بعضا ويمهد له ويتلاقى معه ، وما نقضت عقيدة ولا خلق ، ولا حلال ولا حرام ،حتى الجهاد بدأ في مكة حرب كلام وخصام مبادئ، مثل: ﴿كَلاَّ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعَ بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾ومثل: ﴿ذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً﴾. ومثل: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً وَأَكِيدُ كَيْداً فَمَهِّلْ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً ﴾ثم تطورت الحرب ضد المشركين الأقوياء الذين صادروا أموال المسلمين وحرياتهم، واستباحوا دماءهم وأعراضهم، ودخلت بالهجرة في مرحلة أخرى بعدما تكون للمسلمين جيش يرد اللطمة بمثلها. فأين هو التفاوت بين إسلام مكة والمدينة كما يزعمه هذا الذهن المريض .

٣. أما زعمه بأن الدعوة المحمدية هي إرث روحي وأخلاقي لليهودية واستعدادات من الديانتين السابقتين على الإسلام فهو مردود عليه ضمن الرد على قوله بأن القرآن مستقى من اليهودية والمسيحية .

خلاصة ما سبق :

زبدة المقال وخلاصة القول

أولا : الرد على إنكاره للمصدر الإلهي للقرآن الكريم وما يتعلق باليوم الآخر (الشبهتين الأولى والثانية): استفاض جولدتسيهر في التشكيك في القرآن الكريم وأنه من عمل محمد صلى الله عليه وسلم وأن أحداث القيامة في القرآن مستقاة من اليهودية والمسيحية . ولو أمعنا النظر جيدا في هذا الزعم نجده يدور حول نفس الرحى التي دار حولها غوستاف لوبون ، لذا سنكتفي بالرد الذي طرحناه على غوستاف لوبون فالشبهة واحدة وإن تغيرت صياغتها .

ثانيا : الرد على شبهة جولدتسيهر حول القراءات :زعم جولدتسيهر استحالة وجود نص موحد (مقدس) مجمع على الاعتراف به

وشبهة جولدتسيهر مدحوضة للأسباب التالية : ١. وضح العلماء فوائد تعدد القراءات من حيث التوسع في اللغة والإثراء في المعنى وفي التشريع ، وكل ما يجب في القراءات هو التثبت من صحتها وتواترها كشرط في قبولها، على أن اختلاف القراءات لا يتناول القرآن كلمة كلمة، وآية آية، ومن هنا لا يصح القول بأنه ليس هناك نص موحد للقرآن كما يدعي "جولدزيهر".

٢. أن القراءات السبع ثابتة بالتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد ساعد على احتمال هذه القراءات الضرورية انعدام الشكل والنقط في مصحف عثمان .

٣ . أن اختلاف القراءات لا يبلغ بحال مبلغ التضاد أو التناقض؛ وقد حصر ابن الجزري أنواع الاختلاف في ثلاثة أحوال وهي : الأول : اختلاف اللفظ والمعنى واحد . الثاني : واختلافهما جميعا مع جواز اجتماعهما في شيء واحد، الثالث : اختلافهما جميعا مع امتناع جواز اجتماعهما في شيء واحد، ولكن يتفقان من وجه آخر

زبدة المقال وخلاصة القول

٤. أن زعم جولدتسيهر اضطراب القرآن واختلافه زعم قديم ، وهذه الشبهة ذات شقين كما قال ابن قتيبة :

الأول: يعتبر اختلاف القراءات اضطراب في نص القرآن . وفي الرد على ذلك نقول: إن معنى الاضطراب في النص: هو وروده على صور مختلفة أو متضاربة، لا يُعرف الصحيح الثابت منها، أما وروده على صور كلها صحيح، فليس في ذلك شيء من الاضطراب والقراءات غير متعارضة ولا متناقضة .

والثاني: يرى أن اختلاف القراءات يخالف ما أخبر الله به عن كتابه الحكيم، من نفي وجود الاختلاف فيه .وجوابه : ما أسلفنا من إخباره صلى الله عليه وسلم (أن القرآن نزل على سبعة أحرف كلها شافٍ كافٍ، فاقرؤوا ما تيسر) وهذا المعنى بلغ مبلغ التواتر في هذه الأمة؛ ووجه دلالته: أن القرآن نزل على سبع لغات من لغات العرب، رحمة ورأفة بهم، إذ لو كلِّفوا بقراءته على لغة واحدة لشق الأمر عليهم، ولَدَخَلَهم من العنت ما جاء الشرع الحكيم لرفعه عنهم؛ ولأجل هذا سأل صلى الله عليه وسلم ربه التخفيف في ذلك فأجابه إليه ، ثم إن الاختلاف ـ كما يقول أهل العلم – نوعان : اختلاف تغاير وتنوع، واختلاف تباين وتضاد؛ فأما اختلاف التضاد فلا يجوز في القرآن بحال، وهو غير موجود فيه عند التحقيق والتدقيق ، وأما اختلاف التغاير والتنوع فهو جائز وواقع .

ثالثا : الرد على شبهته حول المكي والمدني من القرآن : وهي قول جولدسيهر في سياق حديثه عن القرآن إلى التمييز بين القرآن المكي والمدني وادعى ما يلي : ١ـ أن هناك قرآنين مختلفين: مكي ومدني. ٢ـ أن التشريع الإسلامي كان مفقودا في مكة. ٣ـ أن الدعوة المحمدية هي إرث روحي وأخلاقي لليهودية واستعدادات من الديانتين السابقتين على الإسلام. وللرد على هذا الركام من الشبهات يرجع له في موقعه من المحاضرة وهو لا يحتاج إلى إيجاز .

المحاضرة العاشرة
المستشرقون والسنة النبوية

تعرضت السنة النبوية الشريفة للطعون والشبهات من الحاقدين والحاسدين منذ العصور الأولى، ومنذ بداية القرن العشرين تعرضت السنة لحملة طعون وشبهات مغرضة من المستشرقين بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم وتشكيكهم في أهم مصادر شريعتهم، ولكن الله تعالى هيأ لهذه الأمة جهابذة ورجالا في القديم والحديث حفظوا السنة وصانوها من عبث العابثين وافتراءات المغرضين، فبيَّنوا الحق من الباطل والصحيح من السقيم، وذادوا عن حياض السنة المطهرة وفندوا وردوا على شبهات أولئك الطاعنين بالحجة والبرهان ، ونتناول في هذا السياق بعضا مما طرحه المستشرقون والرد عليهم، وذلك في التالي :

المستشرقون والسنة النبوية

أولا : ـ البداية من شبهتهم حول شخص صاحب السنة صلى الله عليه وسلم :

زعم المستشرقون انشغاله ـ صلى الله عليه وسلم – بالنساء واتهموه بالشهوانية بتعدده لزوجاته من خلال أقواله في السنة :

يقول غوستاف لوبون: "وضَعْفُ محمد ـ صلى الله عالأولى حتى بلغ الخمسين من عمره، ولم يُخْفِ محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـحبه للنساء، ليه وسلم ـ الوحيد هو حبه الطارئ للنساء، وهو الذي اقتصر على زوجته فقد قال: "حبب إليّ من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة ".

ثانيا : زعم جولدتسيهر وكولسون بأن السنة مجموع عادات وآراء فقهية :

عرف جولد تسيهر السنة بقوله : "هي جوهر العادات وتفكير الأمة الإسلامية قديمًا وتعد شرحًا لألفاظ القرآن الغامضة التي جعلتها أمرًا عملياً حياً" ، ويقول كولسون ـ كما ذكر الدكتور العاني ـ : " إن السنة في القرن الثاني الهجري كانت تعني مجموع الآراء الفقهية المتفق عليها بين علماء مدرسة فقهية المتفق عليها بين علماء مدرسة فقهية ويسميها " سنة المدرسة " فهي مجموع الآراء والأصول المتعارف عليها في كل مذهب والذي يعمل رجال المذهب على عرضها ونصرتها ".

وقال كولسون أيضا : " إن معظم الأقوال المأثورة التشريعية المنسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم هي موضوعة ونتيجة لعملية إسقاط ونسبة خاطئة أو قذف خلفي للإسناد قامت به المذاهب الفقهية ".

ثالثا : زعمهم أن الحديث مزيج من عقائد الأديان السابقة وأفكارها من اليهودية والنصرانية :

يرى بعض المستشرقين " أن العرب أخذوا فكرة الإسناد عن المدارس التلمودية عند اليهود " ، يقول بروكلمان: "وأغلب الظن أن محمدًا اتصل في رحلاته ببعض اليهود والنصارى، أما في مكة نفسها فلعله اتصل بجماعات من النصارى كانت معرفتهم بالتوراة والإنجيل هزيلة إلى حد بعيد " .

ويرى ريتشارد بل: مؤلف كتاب "مقدمة القرآن": إن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد اعتمد في كتابته للقرآن على الكتاب المقدس، وبخاصة على العهد القديم في قسم القصص، فبعض قصص

العقاب كقصص عاد وثمود مستمد من مصادر عربية، ولكن الجانب الأكبر من المادة التي استعملها محمد ليفسر تعاليمه ويدعمها قد استمدها من مصادر يهودية ونصرانية "

رابعا : تشكيكهم في رواة الحديث ورواياتهم:

كثر القول في رواة الأحاديث النبوية في كتابات المستشرقين ووسائلهم الأخرى، ووضعوا مجموعة من هؤلاء الرواة الثقات موضع الشبهة والتشكيك في رواياتهم لتأثرهم بالأحوال السياسية أو الاقتصادية التي كانوا يعيشون فيها، وكان على رأس قائمتهم عَلَمان كبيران من أعلام الرواية: هما الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه، والإمام الزُهْري رحمه الله

وكان جولد تسيهر من أوائل الذين كتب عنهما وافترى عليهما الفريات العظام، معتمدًا في ذلك على الخلافات التي نشبت بين المسلمين بعد الخلافة الراشدة، والفتن التي مزقت الصف الإسلامي، فاستغلها جولدتسيهر وغيره ليطعنوا في أهم مصدر من مصادر التشريع الإسلامي، وذلك بالطعن في رجال سنده ، ومن الشبهات والتشكيكات التي أثارها المستشرق جولد تسيهر حول الإمام الزهري، وهي ليست كل الشبهات لأنها كثيرة :

يقول جولد تسيهر فيما يفتريه على الإمام الزهري: "ولم يكن الأمويون وأتباعهم ليهمهم الكذب في الحديث الموافق لوجهات نظرهم، فالمسألة كانت في إيجاد هؤلاء الذين تنسب إليهم، وقد استغل هؤلاء الأمويون أمثال الإمام الزهري بدهائهم في سبيل وضع الأحاديث...إلخ" .

ويقول أيضًا: "إن عبد الملك بن مروان منع الناس من الحج أيام فتنة ابن الزبير، وبنى قبة الصخرة في المسجد الأقصى ليحج الناس إليها ويطوفوا حولها بدلاً من الكعبة، ثم أراد أن يحمل الناس على الحج إليها بعقيدة دينية، فوجد الزهري وهو ذائع الصيت في الأمة الإسلامية مستعدًا لأن يضع له أحاديث في ذلك، فوضع أحاديث، منها حديث: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى" ومنها حديث: "الصلاة في المسجد الأقصى تعدل ألف صلاة فيما سواه" وأمثال هذين الحديثين، والدليل على أن الزهري هو واضع هذه الأحاديث، إنه كان صديقًا لعبد الملك وكان يتردد عليه وأن الأحاديث التي وردت في فضائل بيت المقدس مروية من طرق الزهري فقط".

خامسا : زعمهم التعارض في الأحاديث :

يزعم بعض المستشرقين وجود تعارض بين الأحاديث المحكوم عليها بالقوة ، يقول مثلا جولدتسيهر : "إنه لا توجد مسألة خلافية سياسية أو اعتقادية إلا ولها اعتماد على جملة من الأحاديث ذات الإسناد القوي".

هذه أبرز الشبهات حول السنة النبوية المطهرة وسنأخذ عليها بالرد إن شاء الله في المحاضرة الحادية عشرة .

خلاصة ما سبق :

زبدة المقال وخلاصة القول

أولا : ـ شبهتهم حول شخص صاحب السنة صلى الله عليه وسلم :

زعم المستشرقون انشغاله ـ صلى الله عليه وسلم – بالنساء واتهموه بالشهوانية بتعدده لزوجاته من خلال أقواله في السنة :

يقول غوستاف لوبون: "وضعف محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الوحيد هو حبه الطارئ للنساء، وهو الذي اقتصر على زوجته الأولى حتى بلغ الخمسين من عمره، ولم يُخْفِ محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـحبه للنساء، فقد قال: "حبب إليّ من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة .

ثانيا : زعم جولدتسيهر وكولسون بأن السنة مجموع عادات وآراء فقهية : عرف جولد تسيهر السنة بقوله : "هي جوهر العادات وتفكير الأمة الإسلامية قديمًا وتعد شرحًا لألفاظ القرآن الغامضة التي جعلتها أمرًا عملياً حياً" .

ويقول المستشرق كولسون :" إن السنة في القرن الثاني الهجري كانت تعني مجموع الآراء الفقهية المتفق عليها بين علماء مدرسة فقهية المتفق عليها بين علماء مدرسة فقهية ويسميها " سنة المدرسة " فهي مجموع الآراء والأصول المتعارف غليها في كل مذهب والذي يعمل رجال المذهب على عرضها ونصرتها " .

وقال كولسون أيضا : " إن معظم الأقوال المأثورة التشريعية المنسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم هي موضوعة ونتيجة لعملية إسقاط ونسبة خاطئة أو قذف خلفي للإسناد قامت به المذاهب الفقهية ".

ثالثا : زعمهم أن الحديث مزيج من عقائد الأديان السابقة وأفكارها من اليهودية والنصرانية .

رابعا : تشكيكهم في رواة الحديث ورواياتهم: كثر القول في رواة الأحاديث النبوية في كتابات المستشرقين ووسائلهم الأخرى، ووضعوا مجموعة من هؤلاء الرواة الثقات موضع الشبهة والتشكيك في رواياتهم لتأثرهم بالأحوال السياسية أو الاقتصادية التي كانوا يعيشون فيها، وكان على رأس قائمتهم عَلَمان كبيران من أعلام الرواية: هما الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه، والإمام الزُهْري رحمه الله .

خامسا : زعمهم التعارض في الأحاديث .

المحاضرة الحادية عشرة
تفنيد مزاعم المستشرقين حول السنة

عناصر المحاضرة
أولا : الرد على شبهة تعدد النبي صلى الله عليه وسلم لزوجاته ودحض قولهم بشهوانيته .
ثانيا :الرد على زعم جولدتسيهر وكولسون بأن السنة مجموع عادات وآراء فقهية .

تفنيد مزاعم المستشرقين حول السنة
أولا : الرد على شبهة تعدد النبي لزوجاته واتهامه بالشهوانية :
يأتي الرد على هذه الشبهة الجائرة المغرضة في الآتي :
١ - أن الله تعالى أباح لنبيه - صلى الله عليه وسلم – الزواج بأكثر من واحدة، وهذا شرع الله الذي نحن به مؤمنون أبدًا، وهذه عقيدة المؤمنين الصادقين عبر التاريخ الإسلامي الطويل من عهد النبوة إلى قيام الساعة، مهما تقوّل المبطلون، أو افترى الحاقدون .
٢- أن الزواج بأكثر من واحدة كان جائزًا في جميع الشرائع السابقة كاليهودية والنصرانية التي ينتمي إليها معظم المستشرقين، مما يكشف لنا ما تكنه نفوس هؤلاء من حقد لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ويبين تربصهم برسول الله وعدائهم له حقدا وحسدا من عند أنفسهم ودون مبرر مع أنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وقد ورد في أسفارهم ما يثبت التعدد في شرائعهم فمثلا ورد عن في سفر الملوك عن سليمان " وكانت له سبع مئة من النساء السيدات و ثلاث مئة من السراري فامالت نساؤه قلبه " والكتاب المقدس مليء بتلك النصوص فلا أدري مالهم ولرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أثارت هذه الشبهة دهشة المنصفين الغربيين فهذا " ول ديورانت " يندهش من تلك الهجمة على النبي صلى الله عليه وسلم قائلا :
" وتزوج النبي بعشر نساء وكانت له اثنتان من السراري هن مبعث الدهشة والحسد والتعليق والمدح عند الغربيين، ولكن علينا أن نذكر على الدوام أن نسبة الوفيات العالية من الذكور بين الساميين في العصر القديم وفي بداية العصور الوسطى جعلت تعدد الزوجات، في نظر هؤلاء الساميين، ضرورة حيوية تكاد تكون واجباً أخلاقياً. وكان تعدد الزوجات في نظر النبي أمراً عادياً مسلماً به لا غبار عليه، ولذلك كان يقبل عليه وهو مرتاح الضمير لا يبغي به إشباع الشهوة الجنسية ".
٣ – عُمُر نسائه صلى الله عليه وسلم وأحوالهن يدحض الشهوانية المزعومة :
أ. إن أكثر نسائه يكبرنه وهن إما ثيبات أو أرامل إلا أم المؤمنين عائشة :
كأن على قلوب هؤلاء المستشرقين أقفالها حين تجاهلوا أو جهلوا الحقيقة الناصعة ، ألا وهي السن التي تزوج فيها الرسول الأمين عليه الصلاة والسلام خديجة رضي الله عنها، وهو سن الشباب وقمة الطاقة والقوة الجسدية والجنسية، فلو كان لديه هوى جنسيا - حاشاه فداه أبي وأمي - لما تزوج من

خديجة التي كانت تكبره بخمس عشرة سنة، ليسطر ذلك نقاءا في صفحة حياته الصافية أصلاً، ويكون صفعة في وجوه من أراد أن يثير حوله شبهة الشهوانية أو الهوى.
ثم إنه لم يكن من بين زوجات الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بكر إلا عائشة رضي الله عنها، أما الأخريات فأرامل وثيبات .

ب. أن زواجه بكل واحدة من نسائه كان لحكمة لا لشهوة أو هوى :
من أول وهلة يبدو للعاقل أن زواجه عليه الصلاة والسلام بأمهات المؤمنين رضوان الله عليهن لم يكن بدافع شهوة أو هوى في النفس وإنما كان لحكمة: فمثلاً تزوج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أم المؤمنين سودة بنت زمعة بن قيس القرشية وهي في الخامسة والخمسين بعد وفاة خديجة رضي الله عنها، فهي مسنة وثيب، تقول عائشة رضي الله عنها: لما توفيت خديجة بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين قالت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون رضي الله عنه للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: أي رسولَ الله ألا تتزوج؟ قال: من؟ قالت: إن شئت بكرًا وإن شئت ثيبًا. قال: من البكر؟ قالت: بنت أحبِّ الخلق إليك عائشة بنت أبي بكر. قال: ومن الثيب؟ قالت: سودة آمنت بك واتبعتك. فاختار النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ سودة حيث بقيت تعاني الوحدة بعد وفاة زوجها في مكة فخشي النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن ترجع إلى مكة ويفتنها أهلها في دينها فتزوجها ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليحفظها ويستر عليها ويحميها من قومها الذين أسلم عدد كبير منهم بعد هذا الزواج.
وبهذا فإن النظر والإمعان في هذا الزواج فيه ما يرد كيد المغرضين والطاعنين في شخص النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي عرض عليه البكر والمسنة الثيب فاختار المسنة رفقًا بحالها وأنسًا لوحدتها وحفاظًا على دينها وعقيدتها.
وأما زواجه عليه الصلاة والسلام بأم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها فقد كانت من سبايا بني المصطلق، وقد أخبرت أم المؤمنين عائشة أنها كانت من سباياهم وأعتقها رسول الله وتزوجها وعن الشعبي : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعتق جويرية بنت الحارث وجعل صداقها عتقها ، وأعتق من سبى من قومها من بني المصطلق).
وقد كان هذا الزواج سببًا في دخول بني المصطلق في الإسلام بعد معاداة طويلة على الإسلام ونبي الإسلام عليه الصلاة والسلام.
وهذا وحده كاف لمعرفة الحكمة من زواج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بذلك العدد من النساء.
وكذا كان لكل واحدة من أمهاتنا زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم شأن ديني ومصلحة دعوية، أو عطف إنساني، أو أمرٌ رباني أو حكمة من زواجه منها .
٤ ـ أن بيوت النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كانت بفضل زوجاته بمنزلة مدارس تخرج المؤمنات الداعيات لهذا الدين، وكانت كل زوجة داعية وفقيهة تعلم النساء أحكام دينهن لقربهن من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، فكانت النسوة يترددن إليهن، ويسألن عما يشكل عليهن من أمور الدين كحقوق الزوج وأحكام الطهارة والتحلي بأخلاق الرسول عليه الصلاة والسلام.
٥ ـ أما بالنسبة للحديث الذي يذكره هؤلاء المستشرقين "حبب إليَّ من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة" فالحديث فيه زيادة منكرة وهي ـ من دنياكم ثلاث ، قال الذهبي في

الميزان:وإسناده قوي، وليس في شيء من كتب الحديث المعتمدة زيادة: (حبب إلى من دنياكم "ثلاث")، ولذلك ردها كثير من الأئمة والحفاظ لنكارتها من حيث عـــــــــــــــــدم وروده ولشذوذها معنىً، فإن الصلاة ليست من الدنيا بل هي من أمور الدين التي تنفع صاحبها في الآخرة، ولقد حاول بعضهم إثباتها في تخريجات وكلام طويل مبسوط في كتب الحديث، ولكن الأظهر ما قاله الأولون، وممن أنكرها شيخ الإسلام ابن تيمية فقال في مجموع الفتاوى: (وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول حبب إلي من دنياكم النساء والطيب، ثم يقول: وجعلت قرة عيني في الصلاة، ولم يقل حبب إلي من دنياكم ثلاث كما يرفعه بعض الناس بل هكذا رواه الإمام أحمد والنسائي...)، وأنكرها كذلك ابن القيم: وقال في زاد المعاد: (هذا لفظ الحديث، ومن رواه حبب إلي من دنياكم ثلاث فقد وهم ولم يقل صلى الله عليه وسلم: ثلاث والصلاة ليست من أمور الدنيا التي تضاف إليها).

ثم إن قول المستشرقين بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان شهوانيا فداه أبي وأمي مستدلين بقوله(حبب) وفي رواية: (إنما حبب)، فهو باطل لأنه صلى الله عليه وسلم قال " حبب " بالمجهول ولم يقل أحب ، وهذا من بلاغة لفظ النبي صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه لم يكن ليحبها ابتداء، والدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة، وكان يحذر الناس منها ويزهدهم فيها، قال المناوي في فيض القدير: (ثم إنه لم يضفها لنفسه ـ أي قال من دنياكم ولم يقل من دنياي أو الدنيا ـ وقال حبب ولم يقل أحب تحقيراً لأمرها)وقال الطيبي: جيء بالفعل (حُبب) مجهولا دلالة على أن ذلك لم يكن من جبلته وطبعه، وإنما هو مجبول على هذا الحب رحمة للعباد ورفقا بهم)، وقال الشاطبي في الموافقات: (لا يلزم من حب الشيء أن يكون مطلوبا بحظ؛ لأن الحب أمر باطن لا يملك، وإنما ينظر فيما ينشأ عنه من الأعمال فمن أين لك أنه كان عليه الصلاة و السلام يتناول تلك الأشياء لمجرد الحظ...)إلخ ، ويكفينا مقال هذا الجمع من العلماء في بيان مقصده صلى الله عليه وسلم من قوله " حبب " وأنه ليس لحظ ولا لشهوة وهو مقال مقنع لمن كان له عقل أو نصيفه .

ثانيا : الرد على زعم جولدتسيهر وكولسون بأن السنة مجموع عادات وآراء فقهية :

يأتي الرد على هذا الزعم من خلال فهم أساسين رئيسين كفيلان بتكميم أفواه المشككين في أصل السنة وهما كالتالي :

١ـ أن الأحاديث النبوية الشريفة نقلت إلينا حفظاً وكتابة من بداية العهد النبوي الذي هو بداية للتاريخ الإسلامي.

٢ـ أن المستشرقين كما قال الدكتور الأعظمي لم يختاروا أمثلتهم الحديثية من مصادر الحديث الأساسية بل اختاروها من كتب السيرة أو كتب الفقه ، إن الفقهاء لم يكونوا مهتمين بذكر كل السند، بل كانوا مهتمين بالمتن، وما يمكن أن يستنبطوا منه من أحكام، فقد قاموا بدراسة كتاب الموطأ لمالك، والموطأ لمحمد بن الحسن الشيباني، وكتاب الأم للشافعي، وغني عن القول أن هذه الكتب أقرب ما تكون إلى الفقه من كتب الحديث، وعلى الرغم من ذلك فقد عمم بعض المستشرقين نتيجتهم التي وصلوا إليها في دراستهم لتلك الكتب، وفرضوها على كافة كتب الحديث، وكأنه ليست هناك كتب خاصة بالأحاديث النبوية، وكأنه ليس هناك فرق بين طبيعة كتب الفقه وكتب الحديث !!!!

وقد أصاب الأعظمي في هذه رده على هذا الزعم ؛ لأن الإمام الشافعي وأبا يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني قد استخدموا الأسلوب نفسه في كتبهم عند ذكرهم للأحاديث النبوية الشريفة. وتوصل

الأعظمي لنتيجة مهمة جداً وهي أنه من الخطأ دراسة الأحاديث من الكتب الفقهية، فقال الأعظمي:« إن كتب السيرة وكتب الفقه ليستا مكانا ومصدرا مناسبا لدراسة ظاهرة الأسانيد ونشأتها ».

خلاصة ما سبق :

زبدة المقال وخلاصة القول :

•من خلال ما سبق نخلص إلى ما يلي :

أولا : الرد على شبهة تعدد النبي لزوجاته واتهامه بالشهوانية :

يأتي الرد على هذه الشبهة الجائرة المغرضة في الآتي :

١ - أن الله تعالى أباح لنبيه - صلى الله عليه وسلم – الزواج بأكثر من واحدة، وهذا شرع الله الذي نحن به مؤمنون أبدًا، وهذه عقيدة المؤمنين الصادقين عبر التاريخ الإسلامي الطويل من عهد النبوة إلى قيام الساعة، مهما تقوّل المبطلون، أو افترى الحاقدون .

٢- أن الزواج بأكثر من واحدة كان جائزًا في جميع الشرائع السابقة كاليهودية والنصرانية التي ينتمي إليها معظم المستشرقين، مما يستبين لنا ما تكنه نفوس هؤلاء من حقد لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ويبين تربصهم برسول الله وعدائهم له حقدا وحسدا من عند أنفسهم .

٣ – عُمُر نسائه صلى الله عليه وسلم وأحوالهن يدحض الشهوانية المزعومة :

أ. أن أكثر نسائه تكبره وهن إما ثيبات أو أرامل إلا أم المؤمنين عائشة : كأن على قلوب هؤلاء المستشرقين أقفالها حين تجاهلوا أو جهلوا الحقيقة الناصعة ، ألا وهي السن التي تزوج فيها الرسول الأمين عليه الصلاة والسلام خديجة رضي الله عنها، وهو سن الشباب وقمة الطاقة والقوة الجسدية والجنسية، فلو كان لديه هوى جنسيا - حاشاه فداه أبي وأمي - لما تزوج من خديجة التي كانت تكبره بخمس عشرة سنة، ثم إنه لم يكن من بين زوجات الرسول - صلى الله عليه وسلم - بكر إلا عائشة رضي الله عنها، أما الأخريات فأرامل وثيبات ب. أن زواجه بكل واحدة من نسائه كان لحكمة لا لشهوة أو هوى : من أول وهلة يبدو للعاقل أن زواجه عليه الصلاة والسلام بأمهات المؤمنين رضوان الله عليهن لم يكن بدافع شهوة أو هوى في النفس وإنما كان لحكمة: فمثلاً تزوج النبي - صلى الله عليه وسلم - أم المؤمنين سودة بنت زمعة بن قيس القرشية وهي في الخامسة والخمسين بعد وفاة خديجة رضي الله عنها، فهي مسنة وثيب . وحينها عرض عليه صلى الله عليه وسلم البكر وهي عائشة والمسنة الثيب سودة فاختار المسنة رفقًا بحالها وحفاظًا على دينها وعقيدتها.

٤– أن بيوت النبي - صلى الله عليه وسلم - كانت بفضل زوجاته بمنزلة مدارس تخرج المؤمنات الداعيات لهذا الدين .

٥– أما بالنسبة للحديث الذي يذكره هؤلاء المستشرقين "حبب إليَّ من دنياكم ثلاث: الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة" فالحديث فيه زيادة منكرة وهي - من دنياكم ثلاث ، كما أن تعبيره صلى الله عليه وسلم " حبب " مجهولا ولم يقل أحب ، وهذا من بلاغة لفظ النبي صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه لم يكن ليحبها ابتداء، وهو دلالة على أن ذلك لم يكن من جبلته وطبعه، وإنما هو مجبول على هذا الحب رحمة للعباد ورفقا بهم .

ثانيا : الرد على زعم جولدتسيهر وكولسون بأن السنة مجموع عادات وآراء فقهية :
يأتي الرد على هذا الزعم من خلال فهم أساسين رئيسين كفيلان بتكميم أفواه المشككين في أصل السنة وهما كالتالي :
١ـ أن الأحاديث النبوية الشريفة نقلت إلينا حفظاً وكتابة من بداية العهد النبوي الذي هو بداية للتاريخ الإسلامي.
٢ـ أن المستشرقين كما قال الدكتور الأعظمي لم يختاروا أمثلتهم الحديثية من مصادر الحديث الأساسية بل اختاروها من كتب السيرة أو كتب الفقه ، إن الفقهاء لم يكونوا مهتمين بذكر كل السند، بل كانوا مهتمين بالمتن، وما يمكن أن يستنبطوا منه من أحكام، فقد قاموا بدراسة كتاب الموطأ لمالك، والموطأ لمحمد بن الحسن الشيباني، وكتاب الأم للشافعي، وغني عن القول أن هذه الكتب أقرب ما تكون إلى الفقه من كتب الحديث المتخصصة ، فكتب الفقه ليست مكانا ومصدرا مناسبا لدراسة ظاهرة الأسانيد ونشأتها .

المحاضرة الثانية عشرة
تابع تفنيد مزاعم المستشرقين حول السنة

عناصر المحاضرة
ثالثا : الرد على زعمهم بأن الحديث مزيج من عقائد الأديان السابقة وأفكارها من اليهودية والنصرانية .
رابعا : الرد على تشكيكهم في رواة الحديث ورواياتهم .
خامسا : الرد على زعمهم التعارض في الأحاديث .

تابع تفنيد مزاعم المستشرقين حول السنة

■ثالثا : الرد على زعمهم بأن الحديث مزيج من عقائد الأديان السابقة وأفكارها من اليهودية والنصرانية :
على نفس نسق اتهام القرآن سار اتهام المستشرقين للسنة من حيث مصدرها واقتباسها من التوراة التي هي مصدر الفكر اليهودي والنصراني على حد سوى، وتأتى الفرية من طريق زعم التشابه بين السنة وبعض نصوص الكتاب المقدس ، وزعمهم أن السنة مجموع إسرائليات اقتبسها النبي من اليهود والنصارى ، وأن كلمتي "السنة" و"الحديث" معربتين عن لفظي "مشناة" و"هداش" العبريتين ، ويتجلى الرد على هذا الزعم من خلال ما يلي :
أولا. نفي التشابه بين مضامين السنة ومضامين اليهودية والنصرانية :
لعل زعم اقتباس الحديث النبوي من اليهودية والنصرانية راجع إلى ادعاء بعض المستشرقين وجود تشابه بين اليهودية والنصرانية وبين السنة ، وهو محض افتراء وتشابه باهت، ينكره واقع اليهودية والنصرانية المحرفتين ، قال الله ـ عز وجل ـ حكاية عنهم: ﴿يحرفون الكلم عن مواضعه﴾، وما ادعاه المغرضون من تشابه ظاهري بين حديث معاذ، الذي يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم: "يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد... أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا"، وبين الـــــــــــــــــرب في اليهودية والنصرانية والذي ورد عنه في كتابهم المقدس: "وراء الرب إلهكم تسيرون، وإياه تتقون، ووصاياه تحفظون، وصوته تسمعون، وإياه تعبدون" (تثنية ١٣: ٤) .
•نقول : إن ما زعموه من وجود تشابه بين النصين يزول بمعرفة معنى الرب عند اليهود والنصارى وذلك من خلال ما يلي :
١. أن الرب عندهم ذو صفات بشرية (في اليهودية والنصرانية) غير ثابتة، يراه البشر رأي العين، فلقد رآه يعقوب وصارعه وانتصر عليه، وهذا الرب ـ يكل ويتعب ففي سفر التكوين: "وبارك الله اليوم السابع وقدسه؛ لأنه فيه استراح من جميع عمله" (التكوين ٢: ٣)، كما أن الرب عندهم مخرب مفسد يأمر بالسكر، وهو أيضا كذاب لص، والشيطان أصدق منه؛ ولذلك انتصر عليه، وتسلل ودخل الجنة، الرب كذلك يأمر بالسرقة؛ لأنه زعيم عصابة، وإضافة لما سبق فهو غير رحيم وغير عادل،

ويندم على ما فعل، جاهل علميا لا يجيد الحساب، وخائن مخادع، ولذلك فهو يضرب ويستهزأ به، وأخيرا فالرب عندهم ملعون ، كما أن الرب عندهم له ابن .

•أما صفات الرب في الإسلام: فهو الواحد الأحد، العدل العالم المحيط، المتصرف في الكون بقدرته، المحيط بالعباد ولا يحيطون به، الذي لا تدركه الأبصار، وهو يدركها، الذي يقول للشيء كن فيكون، الذي لا يمسه تعب أو لغوب، المتفرد بالكمال، المنزه عن النقص، الذي له منتهى الكمال في كل ما نسب لنفسه من صفات ، قال تعالى: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يئوده حفظهما وهو العلي العظيم ﴾،وقال تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴾.

وقال:﴿ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب ﴾،وقال: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾وغير ذلك من الآيات ، ومن ثم فلا وجه للتشابه بين عقائد المسلمين وعقائد اليهود والنصارى وغيرها ، وعليه فلا تشابه بين حديث معاذ السابق، والنص الذي يستدلون به.

٢. جاءت السنة نقية من الإسرائيليات؛ إذ سخر الله تعالى لها من العلماء من سهر على تنقيحها، ومعرفة صحيحها من سقيمها، وألفوا في ذلك مؤلفات عظيمة، فجاءت السنة نقية خالية من أية إسرائيليات، قد تتسرب إليها. ويمكننا أن نمثل لبعض تلك الجهود في مصنفات أولئك الجهابذة بما كان من ابن الجوزي في "الموضوعات"، ومن السيوطي في "الآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة. وينبغي أن ندرك أن عدم قبول علماء الحديث هذه الروايات ليس لأنها في ديانة غير ديانتنا، ولكن لأنها لم تثبت صحتها علميا. وإذا وجدنا - فرضا - بعض التشابه بين ما جاءت به السنة وما جاء في التوراة، فذلك لأنها من مشكاة واحدة، وهي الوحي الإلهي، ولا يلزم - أبدا - من هذا التشابه أن تكون السنة قد اقتبست من التوراة، خاصة وأن السنة أشمل وأعم وأغنى وأصح، فهل يأخذ الصحيح من السقيم؟!.

٣. معلوم أن البون شاسع بين الإسلام والديانات التي سبقته، وبعيد جدا بين الأمة الإسلامية التي قامت به، والأمم الأخرى التي عاصرتها، أو تقدمت عنها؛ إذ إن الدين الذي أتى به محمد - صلى الله عليه وسلم - أوسع أقطارا وأرحب آفاقا مما سبقه، فكيف يتصور أن يأخذ الغني من الفقير، وأن يستعين القادر بالعاجز؟! ثم إن التوراة لم تتحدث عن الدار الآخرة - نعني الصحف التي بين يدي اليهود الآن - فهل ما حفل به الإسلام من حديث عن الدار الآخرة، وعن الجنان وما فيها من مثوبة، والنيران وما فيها من عقوبة، مأخوذة من التوراة؟!.

إن الملامح العلمية التي تفرد بها الإسلام، والتي تميز معالمه تمييزا حاسما، لا حصر لها في أصليه العظيمين الكتاب والسنة، فكيف يحاول أصحاب هذه الشبهة إيهام الناس بأن الإسلام ناقل عمن سبقوه؟!.

وكيف يصدق العقل السليم هذا؟! وأي منطق استندوا عليه في حكمهم بعدم أصالة السنة ونسبتها إلى النبي صلى الله عليه وسلم؟! ولو قلنا لهؤلاء - مثلا - إن أرسطو أخذ أفكاره عن خباز يوناني قديم، لقامت الدنيا ولم تقعد ، ولاتهمونا بالجهل، ونكران شيء معلوم لدى الجميع، علما بأن أفكار أرسطو

لم تصل إلينا موثقة كالسنة، ولم ينص على اتباعها كتاب مقدس كالقرآن، ولكن هذا هو شأنهم يقلبون الحقائق، ما دام هذا سيساعدهم على هدم الإسلام.

٤. أن السنة شاملة صالحة لكل زمان ضابطة لنظم الحياة كلها ،بخلاف ما خلفته اليهودية والنصرانية من تحريف ، وقد شهد بذلك المستشرق " آرنولد توينبى " الذي أزكي به الرد (ظاهرا) على هؤلاء الصغار : (لقد كرّس محمد "صلى الله عليه وسلم" حياته لتحقيق رسالته في كفالة مظهرين في البيئة الاجتماعية العربية ؛ وهما الوحدانية في الفكرة الدينية، والقانون والنظام في الحكم) .
وأخيرا.. إن السنة وحي الله غير المتلو المنزل على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والتي نقلت إلينا بطرق لم يعرف العالم مثلها في التوثيق وتحري الدقة، والمصونة بعناية ممن سخرهم الله لها من علماء الحديث وصيارفته، حتى وصلت إلينا سليمة من كل عيب منزهة عن أي نقص، صحيحة من أي سقم، وهذا كله مما يزيد ثقتنا في نقائها وخلوصها للتشريع في مقابل ما يحاوله أعداؤها من الطعن في مصدرها والتشكيك في حجيتها.

■ ثانيا. وحدة القيم الأخلاقية في الديانات السماوية:
من نافلة القول أن نشير إلى أن القيم الأخلاقية، كالحق، والعدل، والمساواة، قيم خالدة لا تتغير، عامة لا تختص بأمة دون أمة، ولذلك وجدنا أمم الأرض تدين الظلم والظالمين، ولم نجد أمة تزعم أن العدالة قيمة سلبية، أو أن الظلم قيمة إيجابية، وكذلك القيم الأخلاقية من الوفاء بالعهد والأمان، والشجاعة، وبر الوالدين، فكل هذه قيم إنسانية سامية بالفطرة، توجد في الإنسان لكونه إنسانا، وليس لكونه ينتمي لدين معين صحيحا كان هذا الدين أم غير صحيح، فالإنسان مفطور على الخير ولكنه يلوث فطرته باتباعه لشياطين الإنس والجن الذين قال الله فيهم: ﴿يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ﴾.

ولقد أقرت السنة كل هذه الصفات النبيلة؛ وذلك لأن الوحي لا ينافي الفطرة بأي حال، وهذه الصفات هي المقصودة بالعرف في قوله تعالى: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف ﴾، فالعرف هنا ما كان عند العرب من عادات وصفات نبيلة كالكرم، والشجاعة وغيرها.
وعليه فوجود تلك الصفات والقيم الأخلاقية في غير الإسلام، نابع من الفطرة السليمة وأيضا من بقايا آثار الأديان السماوية قبل تحريفها أو العدول عنها. ووجود القيم السامية في السنة نابع من الوحي الذي هو دين الفطرة ﴿فطرت الله التي فطر الناس عليها ﴾، وذلك لحكمة إلهية عظيمة، وهي تحقيق شمولية الإسلام، ومناسبته لكل الشعوب .
والأفراد التي تختلف فيما بينها، فناسب ذلك أن يكون الإسلام متسقا مع ما هو مرتكز في كل النفوس البشرية جامع بينها، وهذا ما يطلق عليه ـ كما سلف الذكر ـ "الفطرة".
واستنادا إلى ما سبق نجد أن وجود الفضائل والقيم التي تدعو السنة إليها في غير الإسلام من ديانات، لا يلزم عنه أن تكون السنة مقتبسة من هذه الديانات، ولكن لأن السنة وحي من عند الله ﴿إن هو إلا

وحي يوحى ﴾والله هو الأعلم بالنفوس البشرية وما يصلحها، فأنزل إليها ما يناسبها ولا يختلف معها، ويحقق لدينه ما أراد من العالمية والشمولية، والامتداد عبر الزمان والمكان.

ثالثا: الفرق بين لفظي السنة والحديث العربيين وكلمتي المشناة وهداش العبريتين:

إن معاجم اللغة العربية ترفض أن تكون كلمتي "السنة" و"الحديث" معربتين عن لفظي "مشناة" و"هداش" العبريتين، كما أنه لم يكن هناك اتصال بين العرب وأهل الكتاب يسمح بالتعريب عن لغتهم، ويمكننا أن نلخص اعتراض المغرضين على كلمتي سنة وحديث ملخص في نقطتين؛ أن المسلمين عربوهما من كلمتي "مشناة" و"هداش"

الرد على شبهات المستشرقين حول السنة النبوية

العبرانيتين، أو أن المسلمين أطلقوا كلمة "سنة" على الروايات المحمدية في مقابل ما صنعه اليهود من إطلاقهم كلمة "مشناة" على مجموعة الروايات الإسرائيلية التي شرحت التوراة.

•أما فيما يتعلق بالنقطة الأولى أقول: إن معاجم اللغة العربية ومظان التعريب ترفض القول بتعريب "مشناة" إلى "سنة"، أو "هداش" إلى "حديث". فقواعد التعريب لا تجيز ذلك لاختلافهم في الحروف والبنية، فضلا عن أن كتب المعرب لم تشر إليها البتة في سياق ذكرها للكلمات المعربة، ثم إننا نلحظ عدم وجود دليل تاريخي يثبت التقاء العرب الأميين باليهود، ذلك أن العرب أمة أمية، وقبل الإسلام كانت وثنية الدين، ولم تكن هناك دلائل اتصال ثقافي بين العرب واليهود، من حيث التقاليد والعادات، ولا من حيث نظام الأسرة، ولا من حيث الطقوس الدينية، فمن أين توصل العرب للتعرف على "مشناة" العبرية، ليعربوا عنها كلمة "سنة"، أو يعربوا "حديث" عن لفظة "هداش" العبرية ؟!

وإضافة لما سبق فنحن نجد كلمتي "سنة" و "حديث" موجودتين في أصول اللغة قرآنا وسنة وقبلهما في شعر العرب؛ إذ هو يمثل مرجعية لغوية عليا لا تدانيها مرجعية إلى أن جاء القرآن، كما أنهما صالحتان لتطبيق كل القواعد الصرفية للغة العربية.

أما كلمة "سنة" فمن معانيها في اللغة: الطريقة المتبعة، حسنة كانت أم "قبيحة"، ففي التنزيل: ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين أو يأتيهم العذاب قبلا ﴾ وقال تعالى: ﴿سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا ﴾وفي الحديث الشريف، قال صلى الله عليه وسلم: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا شبرا، وذراعا ذراعا...»، وقال: «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ».

الرد على شبهات المستشرقين حول السنة النبوية

كما أنها قابلة للاشتقاق طبقا لقواعد اللغة، فـ: سن، يسن، سنا، وسنة، وهو سان، واسم المفعول مسنون.

وكلمة "الحديث": أيضا موجودة في أصول اللغة، والحديث هو: كلام يبلغ الإنسان من جهة السمع، أو الوحي في يقظة أو منام قال عز وجل: ﴿وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا ﴾، وقال: ﴿هل أتاك حديث الغاشية ﴾، وسمى الله تعالى كتابه حديثا، فقال: ﴿فليأتوا بحديث مثله ﴾، وقال: ﴿ومن أصدق من الله حديثا ﴾.

وعليه فكلمتا سنة وحديث عربيتان غير معربتين عن أي لغة ، هذا عن النقطة الأولى .

•أما عن النقطة الثانية: وهي أن المسلمين أطلقوا كلمة "سنة" علما على الروايات المحمدية، كما أطلق اليهود "مشناة" على مجموعة الروايات الإسرائيلية التي شرحت التوراة.
نقول: إن المسلمين الأوائل لم يطلقوا كلمة "سنة" علما على شيء من أحاديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأن السنة لم تأخذ حظها من التدوين الرسمي إلا بعد المائة الأولى من الهجرة، ولكنهم استعملوا كلمة "سنة" في توضيح حياتهم السلوكية على نظام ما كان يسلكه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم إن السنة النبوية لم تكن مجموعة الروايات المحمدية فقط، بل هي ما روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - من قول، أو فعل، أو تقرير لعمل الصحابة في سلوك يتفق مع مبادئ الإسلام.
والفرق كبير بين السنة الإسلامية والمشناة اليهودية التي لا تتعدى أن تكون مجموعة شروح للتوراة، بيد أنها المصدر الأول للتشريع عند اليهود، وأما السنة الإسلامية فغير ذلك؛ إذ لا دخل لأحد من المسلمين فيها إلا بالعناية والحفظ والتنفيذ، وهي عندنا - المسلمين - المصدر الثاني للتشريع.
وبهذا يتضح لنا أن الكلمتين "سنة" و"حديث" عربيتان، ومن المستحيل أن يكون المسلمون قد عربوا كلمة "سنة" من كلمة "مشناة"، أو كلمة "حديث" من كلمة "هداش".
•وبذلك تتهاوى هذه الشبهة وتنهار دعائمها أمام هذا البيان الوافر المفند لأدلتها، الداحض لافتراءاتهم.

ثانيا : الرد على تشكيك جولدتسيهر في رواة الحديث (الإمام الزُّهري نموذجا) :
افترى المستشرقون على رواة الحديث الكذب وطعنوا في صدقهم ، وقد اخترنا فيما سبق شبهات جولدتسيهر على الإمام العالم الثبت الزهري كنموذج لهذه الهرطقات الجائرة من قبل المستشرقين ،إلا أن التاريخ والشواهد الكثيرة والأدلة العلمية الواضحة التي لا شبهة فيها ولا غبار عليها، قادرة على نفي هذا التشكيك سيما في شخصية إسلامية كالإمام الزهري الذي اتصف بالحزم والثبات في المواقف، وكان من أوائل الذين خدموا السنة عظيمة مشهود لها بالدقة في روايتها وتدوينها، إلا أن أقلام هؤلاء الأعداء لا تترك أحدًا من المخلصين من رجالات هذه الأمة، حتى يتحول التاريخ الإسلامي في أذهان المسلمين إلى مجرد صراع ونفاق وكذب، وبالتالي يكون هذا الدين كله مبنيا على أوهام وخرافات، ولكن هيهات لهؤلاء أن يدركوا مآربهم، لأن الله تعالى حفظ هذا الدين بحفظ كتابه، على أيد أمينة وصادقة، وهذه الحقيقة تناقلتها الأجيال بعد الأجيال.

وجعل الله تعالى جيل الصحابة من خير الأجيال، ثم الذين يلونهم، فمهما كاد هؤلاء وأذنابهم فلن يصلوا إلى الغبار الذي كان تطؤه أقدامهم الطاهرة، ومن أجل أن تدحض فرية هؤلاء القوم على عالم جليل مثل الإمام الزهري، الذي عاش مع الصحابة وسلك نهجهم، لا بد من توضيح بعض الأمور منها:
١ – الإمام الزهري هو الإمام محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة القرشي الزهري، اتصف هذا العالم في عصره بالحرص الشديد على تلقي العلم والسعي الدءوب من أجل الحصول عليه، كما اتصف بقوة الحفظ والذاكرة، واتصف بصفات أخرى كالكرم والسخاء والشجاعة وحسن الخلق، ومعروف عنه المواقف الثابتة لمن خالف شيئًا من الدين، وشهد له بذلك شيوخه وعلماء الأمة.

٢ – الأمانة التي اتصف بها الإمام الزهري، تجعل هذه الافتراءات ترتد على أصحابها وتقذف في عيونهم القذى وفي بصائرهم ضلالهم وحقدهم .
ويكفي هنا أن نذكر أحد مواقفه العظيمة أمام أحد خلفاء بني أمية عندما أراد أن يؤول حديثًا في غير موضعه، حيث " دخل الزهري على الوليد بن عبد الملك فقال له: ما حديث يحدثنا به أهل الشام؟ قال: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: يحدثوننا أن الله إذا استرعى عبدًا رعيته كتب له الحسنات ولم يكتب له السيئات. قال الزهري: باطل يا أمير المؤمنين، أنبيٌّ خليفة أكرم على الله أم خليفة غير نبي؟ قال: بل نبي خليفة، قال: فإن الله تعالى يقول لنبيه داود عليه السلام:(يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ) .

فهذا وعيد يا أمير المؤمنين لنبي خليفة فما ظنك بخليفة غير نبي؟ قال الوليد: إن الناس ليغووننا عن ديننا".
٣ – إن كبار العلماء في الدولة العباسية أخذوا عن الزهري جميع الأحاديث والروايات، ولم يذكر أن أحدهم قدح فيه، من أمثال الإمام أحمد ابن حنبل والبخاري ومسلم وغيرهم، رغم أنه كان من رجال بني أمية، الذين لم يسلموا من مهاجمة العباسيين لهم في معظم أمورهم، وهذا دليل كاف للردِّ على المفترين الذين افتروا على هذا العالم الجليل.
٤ – أما بالنسبة لكلام جولدتسيهر عن منع عبد الملك بن مروان الناس الحج، وبناء قبة الصخرة ليحج الناس إليها وأمرُه الإمام الزهري بوضع حديث "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد" فإن هذا الكلام لا يستند إلى دليل علمي تاريخي، وإنما هو سرد مغلوط ومشبوه يراد منه كعادته إثارة التشكيك في التاريخ الإسلامي ورجالاته، وتنجلي الغمة، ويتضح الأمر من خلال الأمور التالية:
أ – أجمع المؤرخون قاطبة أمثال الطبري وابن خلدون وابن الأثير على أن الذي بنى قبة الصخرة هو الوليد بن عبد الملك، وليس عبد الملك بن مروان، وكان الناس يقفون عندها في يوم عرفة، حيث كانت عادة المسلمين في كثير من البلاد حيث كانوا يخرجون إلى أطراف المدينة في هذا اليوم ويشاركون إخوانهم الحجاج في هذا اليوم، بالرغم من أن كثيرًا من العلماء كرهوا هذا الفعل، فالأمر لم يكن مقتصرًا على قبة الصخرة وإنما كان في كل مكان.
ب – لو كان كلام جولد تسيهر صحيحًا على فعل عبد الملك بن مروان، لما سكت علماء الأمة من ذلك الوقت وإلى يومنا على ذلك، لأن منع الناس من الحج لبيت الله وإنشاء مكان آخر للحج فيه يعد كفرًا، لا يقبل التهاون معه والمجاملة فيه.
ج – يذكر المؤرخون أن الزهري لم يلتق بعبد الملك بن مروان في عهد ابن الزبير، وإنما كان أول لقاء بينهما بعد مقتل ابن الزبير حينما كان شابًا، وأن السنة التي ولد فيها الزهري كانت إحدى وخمسين أو ثمانية وخمسين، وكان مقتل ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين، فيكون عمر الزهري عشرين عامًا أو خمسة عشر عامًا، وغير معقول أن يشتهر الزهري في هذه السن المبكرة ثم يفتي بالحج إلى قبة الصخرة بدلاً من الكعبة؟.
د - أما كلام جولدتسيهر أن حديث "لا تشد الرحال" لم يروه غير الزهري فهذا باطل لا أصل له، فقد روي من طرق كثيرة غير طريق الزهري كما أخرجه البخاري ومسلم.

ثالثا : الرد على زعمهم التعارض في الأحاديث :
يقول جولد تسيهر: "إنه لا توجد مسألة خلافية سياسية أو اعتقادية إلا ولها اعتماد على جملة من الأحاديث ذات الإسناد القوي".
نقول : إن تعارض الأحاديث وقوة صحتها لا يعني أنها موضوعة أو غير صحيحة، لعدة أسباب:
١ – أن الفعل الذي يُروى مرتين بشكل مختلف ربما يكون لكل واحد منهما حالة خاصة أو ظروف خاصة بالوضع الذي كان فيه الصحابي، أو بحسب حال الصحابي الذي كان يسأل النبي - صلى الله عليه وسلم -، وهذا لا يعني أبدًا أن هناك تناقضًا في الأحاديث، مثل الحديثين: "الوضوء من مس الذكر" و"هل هو إلا بضعة منك".
٢ – ومنها أن يفعل النبي - صلى الله عليه وسلم - الفعل على وجهين إشارة إلى الجواز، فيروي صحابي ما شاهده في المرة الأولى، ويرويه آخر ما شاهده في المرة الثانية، مثل
تابع تفنيد مزاعم المستشرقين حول السنة
أحاديث الوتر أنها سبع أو تسع أو إحدى عشرة.
٣ – اختلاف الصحابة في فهم مراد النبي - صلى الله عليه وسلم - من الحديث، فبعضهم يفهمه بالوجوب والآخرون يفهمونه بالاستحباب.
٤ – اختلاف الصحابة في حكاية حال شاهدوها من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مثل اختلافهم في حجة الرسول - صلى الله عليه وسلم - هل كان فيها قارنًا أو مفردًا أو متمتعًا؟ وكل ذلك حالات يجوز أن يفهمها الصحابة من النبي - صلى الله عليه وسلم -، فكل يحكم بما يرى.
٥ – نسخ الحكم السابق بحكم لاحق وهذا كثير كما في بعض أحكام حَدِّ الزاني.
الرد على شبهات المستشرقين حول السنة النبوية
وقد بيّن علماء الأمة أسباب اختلاف الحديث فما كان سببه الوضع بَيَّنوه وما كان سببه شيئاً آخر بينوه أيضًا، وقد صنفوا في ذلك كتبًا ومراجع .
وهذا بيان واضح لمعرفة أسباب الاختلاف والتعارض بين بعض الأحاديث ليعلم الناس ذلك، ويكون حجة في وجوه المغرضين الذين يثيرون مسألة التعارض بوصفها مسألة أحاديث صحيحة وغير صحيحة.
وإذا وجد تعارض، بيّن أهلُ العلم حَلَّ هذا التعارض وفق قواعد معلومة لدى أئمة الحديث، عرفت بـ (مختلف الحديث). وخلاصتها أن ينظر في الأحاديث المتعارضة هل يمكن الجمع بينهما؟ فإن كان كذلك فيحمل كل واحد منهما على محمل خاص؟ فإن لم يمكن الجمع بينهما نظر في التاريخ، هل أحدهما متأخر والآخر متقدم، فيكون المتأخر ناسخاً، والمتقدم منسوخاً وإن لم يعلم المتأخر من المتقدم عمل بترجيح أحدهما على الآخر

المستشرقون والسنة النبوية
وفق المرجحات المعروفة عند المحدثين ، وإن لم يمكن الترجيح بحيث تساوت طرق الحديثين فيتوقف فيه -إن وجد- وهو الذي يسمّى بالحديث المضطرب إلى حين يتبين الترجيح.

خلاصة ما سبق :

خلاصة القول وزبدة المقال :

نوجز لما سبق من ردود فيما يلي :

الرد على زعمهم بأن الحديث مزيج من عقائد الأديان السابقة وأفكارها من اليهودية والنصرانية :

على نفس نسق اتهام القرآن سار اتهام المستشرقين للسنة من حيث مصدرها واقتباسها من التوراة التي هي مصدر الفكر اليهودي والنصراني على حد سوى، وتأتي الفرية من طريق زعم التشابه بين السنة وبعض نصوص الكتاب المقدس ، وزعمهم أن السنة مجموع إسرائليات اقتبسها النبي من اليهود والنصارى ، وأن كلمتي "السنة" و"الحديث" معربتين عن لفظي "مشناة" و"هداش" العبريتين ، ويتجلى الرد على هذا الزعم من خلال ما يلي :

■أولا. نفي التشابه بين مضامين السنة ومضامين اليهودية والنصرانية : فقد ادعى المغرضون من تشابه ظاهري بين حديث معاذ، الذي يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم: "يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد... أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا"، وبين الـــــــــــــــــرب في اليهودية والنصرانية والذي ورد عنه في كتابهم المقدس: "وراء الرب إلهكم تسيرون، وإياه تتقون، ووصاياه تحفظون، وصوته تسمعون، وإياه تعبدون" (تثنية ١٣: ٤) .

•نقول : إن ما زعموه من وجود تشابه بين النصين يزول بمعرفة معنى الرب عند اليهود والنصارى وذلك من خلال ما يلي :

•أن الرب عندهم ذو صفات بشرية (في اليهودية والنصرانية) ، أما صفات الرب في الإسلام: فهو الواحد الأحد، العدل العالم المحيط، المتصرف في الكون بقدرته، المحيط بالعباد ولا يحيطون به، الذي لا تدركه الأبصار، وهو يدركها، الذي يقول للشيء كن فيكون، الذي لا يمسه تعب أو لغوب، المتفرد بالكمال، المنزه عن النقص، الذي له منتهى الكمال في كل ما نسب لنفسه من صفات .

٢. جاءت السنة نقية من الإسرائيليات؛ إذ سخر الله تعالى لها من العلماء من سهر على تنقيحها، ومعرفة صحيحها من سقيمها ، ويمكننا أن نمثل لبعض تلك الجهود في مصنفات أولئك الجهابذة بما كان من ابن الجوزي في "الموضوعات"، ومن السيوطي في "الآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة. وينبغي أن ندرك أن عدم قبول علماء الحديث هذه الروايات ليس لأنها في ديانة غير ديانتنا، ولكن لأنها لم تثبت صحتها علميا .

٣. معلوم أن البون شاسع بين الإسلام والديانات التي سبقته،إذ إن الدين الذي أتى به محمد - صلى الله عليه وسلم - أوسع أقطارا وأرحب آفاقا مما سبقه، فكيف يتصور أن يأخذ الغني من الفقير، وأن يستعين القادر بالعاجز؟! ثم إن التوراة لم تتحدث عن الدار الآخرة - نعني الصحف التي بين يدي اليهود الآن - فهل ما حفل به الإسلام من حديث عن الدار الآخرة، وعن الجنان وما فيها من مثوبة، والنيران وما فيها من عقوبة، مأخوذة من التوراة؟! ، ٤. أن السنة شاملة صالحة لكل زمان ضابطة لنظم الحياة كلها ،بخلاف ما خلفته اليهودية والنصرانية من تحريف ، وقد شهد بذلك المستشرق " آرنولد توينبي " الذي أزكي به الرد على هؤلاء الصغار : (لقد كرّس محمد "صلى الله عليه وسلم"

حياته لتحقيق رسالته في كفالة مظهرين في البيئة الاجتماعية العربية ؛ وهما الوحدانية في الفكرة الدينية، والقانون والنظام في الحكم) .

ثانيا. وحدة القيم الأخلاقية في الديانات السماوية: ومن نافلة القول أن نشير إلى أن القيم الأخلاقية، كالحق، والعدل، والمساواة، قيم خالدة لا تتغير، عامة لا تختص بأمة دون أمة، ولذلك وجدنا أمم الأرض تدين الظلم والظالمين، ولم نجد أمة تزعم أن العدالة قيمة سلبية، أو أن الظلم قيمة إيجابية، وكذلك القيم الأخلاقية من الوفاء بالعهد والأمان، والشجاعة، وبر الوالدين، فكل هذه قيم إنسانية سامية بالفطرة، توجد في الإنسان لكونه إنسانا، وليس لكونه ينتمي لدين معين صحيحا كان هذا الدين أم غير صحيح، فالإنسان مفطور على الخير ولكنه يلوث فطرته باتباعه لشياطين الإنس والجن الذين قال الله فيهم: ﴿يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ﴾.

.

ثالثا: الفرق بين لفظي السنة والحديث العربيين وكلمتي المشناة وهداش العبريتين: إن معاجم اللغة العربية ترفض أن تكون كلمتي "السنة" و"الحديث" معربتين عن لفظي "مشناة" و"هداش" العبريتين .

■ثانيا : الرد على تشكيك جولدتسيهر في رواة الحديث (الإمام الزهري نموذجا) :

للرد على ذلك لا بد من توضيح بعض الأمور منها: ١ – أن الإمام الزهري اتصف هذا العالم في عصره بالحرص الشديد على تلقي العلم، كما اتصف بقوة الحفظ والذاكرة، واتصف بصفات أخرى كالكرم وحسن الخلق، ومعروف عنه المواقف الثابتة لمن خالف شيئًا من الدين، وشهد له بذلك شيوخه وعلماء الأمة.

٢ – الأمانة التي اتصف بها الإمام الزهري، تجعل هذه الافتراءات ترتد على أصحابها وتقذف في عيونهم القذى وفي بصائرهم ضلالهم وحقدهم .

٣- إن كبار العلماء في الدولة العباسية أخذوا عن الزهري جميع الأحاديث والروايات، ولم يذكر أن أحدهم قدح فيه .

٤– أما بالنسبة لكلام جولدتسيهر عن منع عبد الملك بن مروان الناس الحج، وبناء قبة الصخرة ليحج الناس إليها وأمرُه الإمام الزهري بوضع حديث "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد" فإن هذا الكلام لا يستند إلى دليل علمي تاريخي، وإنما هو سرد مغلوط ومشبوه يراد منه كعادته إثارة التشكيك في التاريخ الإسلامي ورجالاته، وتنجلي الغمة، ويتضح الأمر من خلال الأمور التالية:

أ – أجمع المؤرخون قاطبة أمثال الطبري وابن خلدون وابن الأثير على أن الذي بنى قبة الصخرة هو الوليد بن عبد الملك، وليس عبد الملك بن مروان . ب – لو كان كلام جولد تسيهر صحيحًا على فعل عبد الملك بن مروان، لما سكت علماء الأمة من ذلك الوقت وإلى يومنا على ذلك . ج – يذكر المؤرخون أن الزهري لم يلتق بعبد الملك بن مروان في عهد ابن الزبير، وإنما كان أول لقاء بينهما بعد مقتل ابن الزبير حينما كان شابًا، وأن السنة التي ولد فيها الزهري كانت إحدى وخمسين أو ثمانية وخمسين، وكان مقتل ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين، فيكون عمر الزهري عشرين عامًا أو خمسة عشر عامًا، وغير معقول أن يشتهر الزهري في هذه السن المبكرة ثم يفتي بالحج إلى قبة الصخرة بدلاً من الكعبة؟. د - أما كلام جولدتسيهر أن حديث "لا تشد الرحال" لم يروه غير الزهري فهذا باطل لا أصل له، فقد روي من طرق كثيرة غير طريق الزهري كما أخرجه البخاري ومسلم.

■ثالثا : الرد على زعمهم التعارض في الأحاديث : نقول : إن تعارض الأحاديث وقوة صحتها لا يعني أنها موضوعة أو غير صحيحة، لعدة أسباب: ١ – أن الفعل الذي يُروى مرتين بشكل مختلف ربما يكون لكل واحد منهما حالة خاصة أو ظروف خاصة بالوضع الذي كان فيه الصحابي، أو بحسب حال الصحابي الذي كان يسأل . ٢ – ومنها أن يفعل النبي - صلى الله عليه وسلم - الفعل على وجهين إشارة إلى الجواز، فيروي صحابي ما شاهده في المرة الأولى، ويرويه آخر ما شاهده في المرة الثانية

٣ – اختلاف الصحابة في فهم مراد النبي - صلى الله عليه وسلم - من الحديث، فبعضهم يفهمه بالوجوب والآخرون يفهمونه بالاستحباب. ٤ – م اختلاف الصحابة في حكاية حال شاهدوها من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مثل اختلافهم في حجة الرسول - صلى الله عليه وسلم - هل كان فيها قارنًا أو مفردًا أو متمتعًا؟ وكل ذلك حالات يجوز أن يفهمها الصحابة من النبي - صلى الله عليه وسلم -، فكل يحكم بما يرى. ٥ – نسخ الحكم السابق بحكم لاحق وهذا كثير كما في بعض أحكام حَدِّ الزاني.

المحاضرة الثالثة عشرة
المستشرقون والدراسات الفقهية، شاخت نموذجا

عناصر المحـــاضرة :
أولا : مزاعم شاخت حول الدراسات الفقهية وإسناد الحديث .
ثانيا :دحض مزاعم شاخت حول الدراسات الفقهية وإسناد الحديث .
ثالثا : خلاصة المقال وزبدة القول .

مزاعم شاخت حول الدراسات الفقهية وإسناد الحديث
من هو شاخت ؟ ولد جوزيف شاخت في مدينة راتيبور الألمانية، في ١٥ مارس ١٩٠٢-١٩٦٩ ، تعلم اليونانية والفرنسية والإنجليزية، واللغات السامية، كما درس في مؤلفه (أصول الشريعة المحمدية) كتابي " الموطأ " لمالك و" الأم " للشافعي ثم عمم نتائج دراسته على كتب الحديث والفقه الأخرى، وتتلخص مزاعمه فيما يلي :
أولا : قال شاخت بنظرية تطور الأسانيد، وتتلخص آراؤه في زعمه اختلاق الجزء الأكبر من الأسانيد، واعتقاده أن أقدم الأحاديث لا يرقى إلى ما قبل سنة ١٥٠ هـ، وأن الأحاديث اختلقها الفقهاء وأصحاب الفرق، وأن الشافعي هو الذي استحدث مبدأ حجية السنة، وكان العمل قبله على السنة المذهبية، وقد كان أثره كبيراً على جيله من المستشرقين. ومن مطاعنه طعنه في سند مالك عن نافع عن ابن عمر بأن نافعاً مات ومالك صغير، وهذا خطأ، سنورد الرد عليه فيما بعد إن شاء الله تعالى .

■ **ويأتي بيان نظرية شاخت وقوله بتطور الإسناد في أن الأحاديث نسبت للنبي صلى الله عليه وسلم تدريجياً، فهي قبل أن تنسب له كانت آراء للمذاهب الفقهية السائدة ومنسوبة للتابعين، وفي المرحلة الثانية نسبت للصحابة، ثم نسبت للنبي صلى الله عليه وسلم، ولهذا فهو يطلق على الإسناد بأنه الجزء الأكثر اعتباطا من أجزاء الحديث، وأنه كلما كان الإسناد متصلاً وتاماً فإنه يعني أنه اخترع في مرحلة متأخرة ويصل بذلك إلى نتيجة مفادها: أن كل أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن لها وجود أصلاً، بل اخْتُرِعَتْ ووُضِعَتْ خلال منتصف القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، فالأسانيد التي نراها مع الأحاديث إنما هي كلها موضوعة ، فالحديث كان يرويه عدة رواة وأن هؤلاء الرواة في النهاية يلتقون عند راوٍ واحدٍ أخذوا عنه هذا الحديث في مرحلة من المراحل، وهذا الراوي الذي يلتقي عنده هؤلاء الرواة هو المسؤول عن وضع الحديث أو أن اسمه استخدم في وضع الحديث.**

ثانيا : تبنى شاخت في نظريته آراء سلفه جولدتسيهر ومارجوليوث حول مفهوم الحديث والسنة وتطورهما خلال القرن الأول الهجري والنصف الأول من القرن الثاني الهجري ، إلا أن شاخت زاد على ما ذكراه فزعم: بأنه كانت عادة الجيلين من العلماء الذين سبقوا الشافعي أن ينسبوا الأحاديث

إلى الصحابة والتابعين، ومن النادر أنهم كانوا ينسبونها إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، من كلامه قوله :"إن الأحاديث ليست هي السنة بل هي تدوين السنة بالوثائق".
ثالثا : يزعم شاخت أن إسناد الحديث اعتباطي يقول :"إن أكبر جزء من أسانيد الأحاديث اعتباطي، ومعلوم لدى الجميع أن الأسانيد بدأت بشكل بدائي ووصلت إلى كمالها في النصف الثاني من القرن الثالث، وكانت الأسانيد لا تجد أدنى اعتناء، وأي حزب يريد نسبة آرائه إلى المتقدمين كان يختار تلك الشخصيات ويضعها في الإسناد".

وخلاصة القول : أن شبهة " شاخت " اعتمدت على القول بتطور الإسناد وتدرجه من آراء فقهية إلى أحاديث نبوية ، ومن هنا وجب الرد عليه من خلال الإسناد الذي بنى عليه شبهته ، وذلك ما سنورده في الصفحات التالية :
بالنسبة لشبهات شاخت ـ وغيره من المستشرقين ـ الذين زعموا تطور الأسانيد من خلال زعمه بأن السنة مجرد آراء فقهية فنقول:
سبق تفنيد الزعم بأن السنة مجموع آراء فقهية نسبت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ويبقى الرد على الطعن في الإسناد ، ويأتي فيما يأتي :

■ أولا : اهتم علماء الحديث بالأسانيد وكان اهتمامهم بها قبل كل شيء انطلاقا من قول الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) .فقد روى مسلم عن مجاهد قال: جاء بشير العدوي إلى ابن عباس، فجعل يحدث ويقول: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه، ولا ينظر إليه.
فقال: يا ابن عباس! ما لي لا أراك تسمع لحديثي؟ أحدثك عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا تسمع. فقال ابن عباس: "إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلا يقول: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ابتدرته أبصارنا، وأصغينا إليه بآذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذلول، لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف " فكان لا يؤخذ الحديث من أحد إلا إذا كان ثقة، حتى اشتهر بين المحدثين أن السند للخبر كالنسب للمرء. والحديث الذي ليس له سند ليس بشيء. ومعروف عن ابن سيرين قوله: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم .
وقول عبد الله بن المبارك: الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء

■ ثانيا : كان الإسناد علم بذاته من علوم الحديث اعتنى به علماء الأمة عناية مميزة؛ لأنه سند السنة التي هي المصدر التشريعي الثاني بعد القرآن الكريم، وقد تفردت الأمة الإسلامية بهذا العلم وهذه المنهجية في أخذ الأخبار والروايات بخلاف جميع أمم الأرض وأديانها الأخرى حيث اعتمدت على المشافهة والروايات التي اختلط فيها الحق بالباطل، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:
"وعلم الإسناد والرواية مما خص الله به أمة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وجعله سُلّماً إلى الدراية فأهل الكتاب لا إسناد لهم يأثرون به المنقولات. وهكذا المبتدعون من هذه الأمة أهل الضلالات. وإنما الإسناد لمن أعظم الله عليه المنة من أهل الإسلام والسنة، يفرقون به بين الصحيح والسقيم والمعوج

والقويم. وغيرهم من أهل البدع والكفار إنما عندهم منقولات يأثرونها بغير إسناد. وعليها من دينهم الاعتماد وهم لا يعرفون فيها الحق من الباطل ولا الحالي من العاطل ".

•ثالثا : فاقت جهود الصحابة وعلماء الأمة من بعدهم حدود الجهد لشدة اهتمامهم وعنايتهم بالحديث النبوي، فهذا أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه يسافر من المدينة إلى مصر من أجل أن يتأكد من صحة حديث يحفظه عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ومنه ما ورد عن عقبة بن عامر رضي الله عنه في حديث الستر على المؤمن، فعن عطاء ابن أبي رباح قال: خرج أبو أيوب الأنصاري إلى عقبة بن عامر، يسأله عن حديث سمعه من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولم يبق أحد سمعه من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ غيره وغير عقبة، فلما قدم إلى منزل مسلمة بن مخلد الأنصاري (وهو أمير مصر) فأخبره فعجل عليه، فخرج إليه فعانقه، ثم قال له: ما جاء بك يا أبا أيوب؟ فقال:
حديث سمعته من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يبق أحد سمعه من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ غيري وغير عقبة، فابعث من يدلني على منزله، قال: فبعث معه من يدله على منزل عقبة، فأخبر عقبة، فعجل فخرج إليه فعانقه، فقال: ما جاء بك يا أبا أيوب؟ فقال: حديث سمعته من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لم يبق أحد سمعه من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ غيري وغيرك في ستر المؤمن، قال عقبة: نعم سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول:" من ستر مؤمنا في الدنيا على خزية، ستره الله يوم القيامة" فقال له أبو أيوب صدقت. ثم انصرف أبو أيوب إلى راحلته، فركبها راجعاً إلى المدينة .

ويقول سعيد بن المسيب أحد كبار التابعين: إني كنت لأسافر مسيرة الأيام والليالي في الحديث الواحد .

•رابعا : وضع علماء الحديث للإسناد قواعد وأصول علمية دقيقة للوصول إلى الأحاديث الصحيحة وترك غيرها من الضعيفة والموضوعة، وقسم هذا الإسناد إلى أقسام من حيث القبول أو الرد ، فمن الأشياء التي وضعوها على سبيل المثال لا الحصر للراوي، ما يلي:
١ـ صفة من تقبل روايته ومن ترد: وقد اشترطوا للراوي العدالة والضبط، يقول ابن الصلاح:"أجمع جماهير أئمة الحديث والفقه على أنه يشترط فيمن يحتج بروايته أن يكون عدلاً ضابطاً لما يروي. وتفصيله ، وأن يكون مسلماً بالغاً عاقلاً سالماً من أسباب الفسق وخوارم المروءة، متيقظاً غير مغفل، حافظاً إن حدَّث من حفظه، ضابطاً لكتابه إن حدَّث من كتابه. وإن كان يحدث بالمعنى اشترط فيه مع ذلك أن يكون عالما بما يحيل المعاني".
إذن اشترطوا العدالة ، والإسلام ، وبذلك لا يقبل حديث من راو كافر. وكذلك: البلوغ والعقل: لأنهما شرطان لتحمل التكاليف الشرعية وليتم ضبط الكلام وصدقه، فلا تقبل رواية الصبي والمجنون ، والتقوى: وفيها اجتناب الكبائر وترك الإصرار على الصغائر ، فلا يقبل خبر الفاسق الذي يرتكب المعاصي ولاسيما الكبيرة منها. ويدخل في ذلك المبتدع فلا تقبل روايته .

وأما شرط الضبط فيعرف بالمقاييس التي حددها العلماء كما يقول ابن الصلاح:"أن نعتبر رواياته بروايات الثقات المعروفين بالضبط والإتقان، فإن وجدنا رواياته نادرة عرفنا حينئذ كونه ضابطاً، وإن وجدناه كثير المخالفة لهم عرفنا اختلال ضبطه ولم نحتج بحديثه".
فإذا تحقق شرط العدالة والضبط في الراوي فيجب أخذ روايته والعمل بحديثه ويطلق عليه عندئذ (ثقة).
٢- الجرح والتعديل: والجرح: هو الطعن في راوي الحديث بما يسلب أو يخل بعدالته أو ضبطه.
والتعديل: عكسه، وهو تزكية الراوي والحكم عليه بأنه عدل أو ضابط.
وهناك شروط وآداب للجارح والمعدل، وشروط لقبول الجرح والتعديل أو رده، ومراتب الجرح والتعديل، وألفاظ الجرح والتعديل التي يعتمد عليها العلماء، وغيرها من الشروط التي يطول بنا المقام لسردها. لا نريد التوسع فيها.
٣- الثقات والضعفاء: وقد ألفت مؤلفات في الثقات والضعفاء، لمعرفة أشخاص الإسناد وبالتالي معرفة درجة الحديث صحة وضعفاً، فمما أُلّف في الثقات: كتاب"الثقات" للإمام أبي حاتم محمد بن حبان (المتوفى سنة ٣٥٤هـ)، وكتاب"الثقات" للإمام أحمد بن عبد الله العجلي
دحض مزاعم شاخت حول الدراسات الفقهية وإسناد الحديث
المتوفى سنة ٢٦١هـ، و(كتاب تذكرة الحفاظ) للإمام الحافظ شمس الدين محمد الذهبي (المتوفى سنة ٧٤٨هـ). وما أُلّف في الضعفاء: "الكامل في الضعفاء" للحافظ الإمام أبي أحمد عبدالله بن عَديّ (المتوفى سنة ٣٦٥هـ) وكتاب (ميزان الاعتدال في نقد الرجال) للإمام الذهبي، و(لسان الميزان) للحافظ ابن حجر العسقلاني. وغيرها كثير من الكتب التي تحدثت عن الثقات والضعفاء .

■في نهاية المطاف نقول لهؤلاء المستشرقين : إن المقياس الذي يقاس به رواة الحديث مقياس علمي ودقيق، حيث تطرق إلى حال الرواة من جميع النواحي الدينية والعقلية والذهنية والصحية والاجتماعية، والأخلاقية،ووضع لهم عبر هذا المقياس مراتب ودرجات عن طريق الجرح والتعديل، وألفت عنهم الكتب والمصنفات لبيان حالهم، عبر هذه المسيرة العلمية الدقيقة والشاقة لحال الإسناد، وصلت إلينا الأحاديث صافية وخالية من الكذب والتحريف أو الزيادة والإضافات من قبل الرواة أو غيرهم.

■فهل بعد هذا يمكن أن يقال ما ذكره شاخت من أن جزءاً من أسانيد الأحاديث اعتباطي أو أنها لم تجد عناية أو قوالب جاهزة أو نحو ذلك؟!!

■أما بالنسبة لطعن شاخت في سند مالك عن نافع عن ابن عمر بأن نافعاً مات ومالك صغير، فهذا خطأ، فمالك كان صاحب حلقة في مسجد المدينة في حياة نافع. وقد رد روبسون على شاخت في هذا السند في مقاله " الإسناد في الحديث النبوي " وفي هذه المقالة عدل عن آرائه التي تابع فيها شاخت.

■ هذه هي أهم الصواعق المحرقة لشبهات شاخت ومن على شاكلته نحو الإسناد والزعم بأن الحديث في أصله هو من كلام الفقهاء .

خلاصة ما سبق :

خلاصة القول وزبدة المقال

أولا : مزاعم شاخت :

•قال " شاخت " بنظرية تطور الأسانيد، وتتلخص آراؤه في زعمه اختلاق الجزء الأكبر من الأسانيد، واعتقاده أن أقدم الأحاديث لا يرقى إلى ما قبل سنة ١٥٠ هـ، وأن الأحاديث اختلقها الفقهاء وأصحاب الفرق .

•طعن شاخت في سند مالك عن نافع عن ابن عمر بأن نافعاً مات ومالك صغير .

•تبنى شاخت في نظريته آراء سلفه جولدتسيهر ومارجوليوث حول مفهوم الحديث والسنة وتطورهما خلال القرن الأول الهجري والنصف الأول من القرن الثاني الهجري ، إلا أن شاخت زاد على ما ذكراه فزعم: بأنه كانت عادة الجيلين من العلماء الذين سبقوا الشافعي أن ينسبوا الأحاديث إلى الصحابة والتابعين، ومن النادر أنهم كانوا ينسبونها إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

■يأتي بيان نظرية شاخت وقوله بتطور الإسناد في أن الأحاديث نسبت للنبي صلى الله عليه وسلم تدريجياً، فهي قبل أن تنسب له كانت آراء للمذاهب الفقهية السائدة ومنسوبة للتابعين، وفي المرحلة الثانية نسبت للصحابة، ثم نسبت للنبي صلى الله عليه وسلم، ولهذا فهو يطلق على الإسناد بأنه الجزء الأكثر اعتباطا من أجزاء الحديث، فهو يدَّعي بأنه: يمكننا أن نقول إنه كلما كان الإسناد متصلاً وتاماً فإنه يعني أنه اخترع في مرحلة متأخرة ويصل بذلك إلى نتيجة مفادها: أن كل أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن لها وجود أصلاً، بل اخْتُرِعَتْ ووُضِعَتْ خلال منتصف القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، فالأسانيد التي نراها مع الأحاديث إنما هي كلها موضوعة.

■زعم شاخت بأن الحديث كان يرويه عدة رواة وأن هؤلاء الرواة في النهاية يلتقون عند راوٍ واحد أخذوا عنه هذا الحديث في مرحلة من المراحل، إن هذا الراوي الذي يلتقي عنده هؤلاء الرواة هو المسؤول عن وضع الحديث أو أن اسمه استخدم في وضع الحديث.

ثانيا : دحض شبهات شاخت في قوله تطور الإسناد وادعاء أن السنة مجموع آراء فقهية :

أولا : كان اهتمام علماء الحديث بالأسانيد قبل كل شيء انطلاقا من قول الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) .فقد روى مسلم عن مجاهد قال: جاء بشير العدوي إلى ابن عباس، فجعل يحدث ويقول: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه، ولا ينظر إليه.

ثانيا : كان الإسناد علم بذاته من علوم الحديث اعتنى به علماء الأمة عناية مميزة؛ لأنه سند السنة التي هي المصدر التشريعي الثاني بعد القرآن الكريم .
ثالثا : فاقت جهود الصحابة وعلماء الأمة من بعدهم التصور البشري لشدة اهتمامهم وعنايتهم بالحديث النبوي .
رابعا : وضع علماء الحديث للإسناد قواعد وأصولاً علمية دقيقة للوصول إلى الأحاديث الصحيحة وترك غيرها من الضعيفة والموضوعة منها:
١- صفة من تقبل روايته ومن ترد: وقد اشترطوا للراوي العدالة والضبط . ٢- الجرح والتعديل . ٣- الثقات والضعفاء .
■فهل بعد هذا يمكن أن يقال ما ذكره شاخت من أن جزءاً من أسانيد الأحاديث اعتباطي أو أنها لم تجد عناية أو قوالب جاهزة أو نحو ذلك؟!!
■أما بالنسبة لطعن شاخت في سند مالك عن نافع عن ابن عمر بأن نافعاً مات ومالك صغير، فهذا خطأ، فمالك كان صاحب حلقة في مسجد المدينة في حياة نافع. وقد رد روبسون على شاخت في هذا السند في مقاله " الإسناد في الحديث النبوي " وفي هذه المقالة عدل عن آرائه التي تابع فيها شاخت.
■هذه هي أهم الصواعق المحرقة لشبهات شاخت ومن على شاكلته نحو الإسناد والزعم بأن الحديث في أصله هو من كلام الفقهاء ..

المحاضرة الرابعة عشرة
المستشرقون والعلوم والصناعات والاكتشافات عند المسلمين

عناصر المحاضرة :
أولا : المستشرقون واعترافهم بفضل الحضارة الإسلامية على الغرب بين الإجحاف والإنصاف .
ثانيا : نماذج من العلماء المسلمين لهم فضل على أوروبا (في عيون المستشرقين المنصفين) .
ثالثا : وسائل نقل العلوم الإسلامية إلى أوروبا وإسهامات المستشرقين فيها .
المستشرقون والعلوم والصناعات والاكتشافات عند المسلمين
•- المستشرقون واعترافهم بفضل الحضارة الإسلامية على الغرب بين الإجحاف والإنصاف :
انقسم المستشرقون حول الاعتراف بفضل العرب على الغرب في العلوم والصناعات والاكتشافات إلى فريقين :
- الفريق الأول : المغرضون الحاقدون (وهم كثر): وهذا الفريق أعماه التعصب والحقد ، فلم تعترف للعلماء العرب بأي إنتاج ، بل منهم من استعمل الألفاظ المتسلطة الجارحة في وصف الإنتاج العلمي العربي والعلماء العرب، فرماهم بالبربرية والجهالة، ومنهم من تجاهل إطلاقاً هذه الحقبة الوضاءة في تاريخ العلم العربي .
- الفريق الثاني : المنصفون (وهم قليل) : إن قلة من علماء الغرب اعترفوا بفضل العلماء العرب في حفظ التراث العلمي الإنساني من الضياع ، وفي متابعة التفكير العلمي الصحيح ، فنقلوا العلم الإغريقي والعلم البطلمي إلى اللغة العربية ، بعد أن فهموه وحذقوه، ثم أضافوا إليه وزادوا عليه ، وكان لهم أعظم الفضل في خلود هذا التراث.
وكان من هذه القلة من علماء الغرب الذين اعترفوا بفضل العلماء العرب المستشرقة الدكتورة (سيجريد هونكه) مؤلفة كتاب (شمس العرب تسطع على الغرب - أثر الحضارة العربية في أوروبا) حيث تقول : (لقد شاء الله أن يظهر من الأوربيين من ينادي بالحقيقة ولا يغمط العرب حقهم، في أنهم حملوا رسالة عالمية، وأدوا خدمة إنسانية للثقافة البشرية قديما وحديثا. إن هذا النفر من الأوربيين المنصفين، لا يأبه من تحدي المتعصبين الذين حاولوا جهد طاقتهم طمس معالم هذه الحضارة العربية والتقليل من شأنها) .
وتقول : " إن أوروبا تدين للعرب وللحضارة العربية. وإن الدين الذي في عنق أوروبا وسائر القارات الأخرى للعرب كبير جداً ، وكان يجب على أوروبا أن تعترف بهذا الصنيع منذ زمن بعيد، ولكن التعصب واختلاف العقائد أعمى عيوننا، وترك عليها غشاوة حتى إننا نقرأ ثمانية وتسعين كتاباً من مائة، فلا نجد فيها إشارة إلى فضل العرب وما أسدوه إلينا من علم ومعرفة، اللهم إلا هذه الإشارة العابرة إلى أن دور العرب، لا يتعدى دور ساعي البريد، الذي نقل إليهم التراث اليوناني ".
وتقول " إنها سبة أن يعلم أهل العلم من الأوربيين ، أن العرب أصحاب نهضة علمية لم تعرفها الإنسانية من قبل ، وأن هذه النهضة فاقت كثيراً ما تركه اليونان أو الرومان ولا يقدرون هذا. إن العرب ظلوا ثمانية قرون طوال، يشعون على العالم علماً وفناً وأدباً وحضارة، كما أخذوا بيد أوروبا

وأخرجوها من الظلمات إلى النور، ونشروا لواء المدنية ، إن هم ذهبوا في أقاصي البلاد ودانيها ، سواء في آسيا أو إفريقيا أو أوروبا ، ثم تنكر أوروبا على العرب الاعتراف بهذا الفضل ".

ومن المنصفين الذين شهدوا بفضل العرب على أوروبا المستشرق "ول ديورانت " صاحب كتاب قصة الحضارة ، يقول: " وقد تأثر الصليبيون بروعة الزجاج المنقوش في بلاد الإسلام، وربما كان من نتائج تأثرهم بها أنهم نقلوا من بلاد الشرق الأسرار الفنية التي أدت إلى تحسين الزجاج الملون الذي نشاهده اليوم في الكنائس.

كما يقول أيضا : " وقد أخذ الأوربيون أيضاً فكرة صناعة الطواحين المائية ، حيث عُرفت لأول مرة في أوربا الغربية عام ١١٠٥م ـ أي مع بداية الحروب الصليبية ـ بعد أن شاهد المسيحيون سعة انتشارها " .

ـ وفيما يلي نبين كيف اغترف الغرب من معين الحضارة العلمية والكشفية في كل المجالات من كنوز المعارف العربية والإسلامية وبشهادة المستشرقين عن طريق عرض نماذج معينة من العلماء ، وبيان وسائل نقل العلوم الإسلامية إلى أوروبا:

- أولا : نماذج من العلماء المسلمين لهم فضل على أوروبا (في عيون المستشرقين المنصفين) :

•ابن سينا (٩٨٠ـ ١٠٣٦م) : وهو عالم وطبيب مسلم من بخارى ، اشتهر بالطب والفلسفة واشتغل بهما ، ويعتبر ابن سينا رائدا من رواد الفكر الإنساني في فترة تعتبر من أزهى عصور الحضارة العلمية الإسلامية، سطع في سمائها ابن سينا ، ولقد أقبل علماء الغرب على كتب ابن سينا يترجمونها إلى اللغة اللاتينية ، بل لقد ترجمت كتبه إلى كل لغة تقريباً. وتأثرت الفلسفات الأخرى بفلسفته ، واعتبره دانتي الإيطالي في مصاف أبقراط وجالينوس في الطب.

• ابن الهيثم (٩٦٥ـ ١٠٣٨م) : يقول جورج سارتون في كتابه (العلم القديم والمدنية الحديثة) عن ابن الهيثم إنه أكبر عالم طبيعة مسلم، ومن أكبر المشتغلين بعلم المناظير (الضوء) في جميع الأزمان.

لقد كان أساس الأخلاق عند ابن الهيثم العربي المصري إيثار الحق لا الميل مع الهوى. إنه خلق العالم الفاضل. ألسنا نرى أنه مثل يحتذى بعد عصره بنحو ألف من الأعوام).

٣. أبو الريحان البيروني (٩٦٣ ـ ١٠٤٨م) : أفغاني المسلم ، لمع بين علماء المشرق والمغرب حتى اعتبر من واضعي الأسس الأولى لعلم حساب المثلثات . وكان في نفس الوقت فيلسوفا وعالما في الفيزياء والرياضيات ،وصفه المستشرقون بأنه عقلية نادرة المثال ، حيث يقول المستشرق "سخاو" عن البيروني : إنه أكبر عقلية علمية في التاريخ ، وإنه من أضخم العقول التي ظهرت في العالم ، وإنه أعظم علماء عصره ، ومن أعظم العلماء في كل العصور .

٤. الفيلسوف العربي الأندلسي ابن رشد (١١٢٦ ـ ١١٩٨م) : والذي عرفته أوروبا باسم أفيروس (Averroes) فيقول عنه "رام لاندو" في كتاب (مآثر العرب في النهضة الأوربية) : " أن فلاسفة الغرب لا يمكن أن يصلوا إلى مستواهم الذي نراه اليوم ، لو لم يحصلوا على نتائج بحوث ابن رشد في الفلسفة ".

•ثانيا : وسائل نقل العلوم الإسلامية إلى أوروبا وإسهامات المستشرقين فيها :

تعددت وسائل نقل العلوم الإسلامية إلى أوروبا وكان للمستشرقين دور بارز في نقلها بطريق مباشرة وغير مباشرة ، وهي :

أولاً : البعثات الأوربية الشخصية والرسمية التي توافدت على مراكز الحضارة العربية الإسلامية :
فمثلا اعتمدت جميع مراكز التعليم في أوربا على قرطبة واشبيلية وطليطلة وغرناطة .. حيث كان الطلاب يشدون الرحال إليها ويقضون السنوات الطوال في الدراسة والتتبع ، والاطلاع على مؤلفات العرب فيها ، وكان في مقدمة هؤلاء الراهب الفرنسي المستشرق (جربرت دي اورياك) الذي وفد إلى الأندلس في عصر الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦ هـ / ٩٦١ – ٩٧٦م) ، ودرس على أيدي العلماء المسلمين الرياضيات والفلك والكيمياء ، وحينما عاد إلى وطنه بعد ان بلغ من العلم مبلغا خيّل لعامة فرنسا إذ ذاك انه ساحر ، كما أرسلت إلى الأندلس بعثات ذات طابع رسمي من قبل حكومات بعض الدول الأوربية ، وأخذت هذه البعثات تتوالى على الأندلس بأعداد متزايدة سنة بعد أخرى ، حتى بلغت سنة ٣١٢هـ / ٩٢٤ م ـ ، في عهد الخليفة الناصر زهاء سبعمائة طالب وطالبة وغير ذلك الكثير من البعثات التي لا مجال لعرضها .

ولم يقتصر الأمر على البعثات الموجهة من الغرب إلى بلاد المسلمين ، بل قام بعض ملوك أوربا باستقدام علماء الأندلس لتأسيس المدارس ونشر ألوية العلم والعمران ، ففي خلال القرن الثالث الهجري ، التاسع الميلادي وما بعده وّقعت حكومات هولندة وسكسونيا وانكلترا على عقود مع حوالي تسعين من الأساتذة العرب في الأندلس بمختلف العلوم ، وقد اختير هؤلاء من بين أشهر العلماء الذين كانوا يحسنون اللغتين الاسبانية واللاتينية إلى جانب اللغة العربية .
ثانياً : المستعربون : والمستعربون بحكم معرفتهم للغتين العربية واللاتينية الحديثة كانوا أداة اتصال بين شطري اسبانيا ، وهم منذ الفتح العربي الإسلامي لم ينقطعوا عن الهجرة إلى المناطق الشمالية في اسبانيا ، وقد ازدادت هجرتهم في القرن السادس والسابع الهجري / الثاني عشر والثالث عشر الميلادي على عهد دولتي المرابطين والموحدين .
• ثالثا : التجار والعلاقات التجارية المتواصلة : فالتجار المسلمين ظلوا قروناً يتاجرون مع الكثير من البلدان الأوربية ، ولقد دلت التنقيبات أخيراً على وجود عملات إسلامية في أوربا الشمالية حتى فلندا ، كما لا ننسى الرحالة المسلمون الذين طافوا في مختلف أنحاء العالم ومنها أوربا أثر في نشر الحضارة العربية الإسلامية ، ثم فيما أنتجته رحلاتهم من تراث جغرافي أو كتابات تخص تلك الشعوب والأقطار التي زاروها ، كرحلة ابن فضلان وأبو عبيد البكري .
•رابعا : التقارب السياسي والعلاقات الدبلوماسية :حيث سعت العديد من الدول الأوربية إلى توطيد العلاقات مع الدول العربية الإسلامية وخصوصا بتولية المستشرقين المنصرين مناصب سياسية.
فمثلا حرصت الدولة الرومانية المقدسة على إقامة علاقات دبلوماسية مع الدولة العربية الإسلامية في الأندلس ، فقد وصلت سفارة من قبل الإمبراطور الألماني اوتو الكبير ، إلى الأندلس سنة ٣٤٢ هـ / ٩٥٣م ، وكانت برئاسة الراهب جان دي جورز ، وهو احد علماء عصره في البحث والمناظرة .
•خامسا : حركة الترجمة : وتعد قناة غير مباشرة ، ولكنها أثرت تأثيراً كبيراً في نقل أوربا من عصر الظلام والتخلف إلى عصر الانبعاث والتقدم ، وكان للمستشرقين دور كبير في إثراء هذه الوسيلة والتحفيز عليها ، وقد مرت حركة الترجمة بدورين ، الدور الأول : والتي تمت فيه ترجمة الكثير من المخطوطات إلى العربية بما في ذلك كتاب في علم الزراعة ،كتبه (كولوميلا) وكتاب تاريخ عام ألفه (اوروسيوس) ، وكتاب يبحث في التنجيم ، وآخر في الاشتقاق لمؤلفه (ايزدور) .

أما الدور الثاني : فيشمل الترجمة من العربية إلى اللاتينية ، ويبدأ من منتصف القرن الخامس إلى أخر القرن السابع الهجري / منتصف القرن الحادي عشر إلى أخر القرن الثالث عشر الميلادي ،
وقد مر هذا الدور بمرحلتين الأولى تمت فيها ترجمة العلوم العربية المنقولة عن العلوم اليونانية ، والمرحلة الثانية ترجمة العلوم العربية الإسلامية.
كانت أوروبا لا تمتلك من العلم اليوناني إلا القليل تمثل بمختصرات هزيلة وضعت منذ القرن الخامس الميلادي والى القرن الثامن الميلادي ، لذا بقيت الدراسة في أوربا ضئيلة محصورة في فئة قليلة من الرهبان ، ولم تنتعش وتتطور إلا بعد تمثلها للعلوم العربية ولاسيما التي تشمل على أصول علوم اليونان التي ترجمها العرب المسلمين في عصر ازدهار حضارتهم.
ـ هذه بعض الملامح الموجزة حول دور المستشرقين وشهادتهم بأثر المسلمين في نقل العلوم والصناعات والاكتشافات عند الغرب وذكرنا بعضا من النماذج والوسائل التي أثبتت ذلك .

خلاصة ما سبق :

خلاصة القول وزبدة المقال
ـ المستشرقون واعترافهم بفضل الحضارة الإسلامية على الغرب بين الإجحاف والإنصاف :انقسم المستشرقون حول الاعتراف بفضل العرب على الغرب في العلوم والصناعات والاكتشافات إلى فريقين : الفريق الأول : المغرضون الحاقدون . الفريق الثاني : المنصفون وهم قليل ، وكان من هذه القلة من علماء الغرب الذين اعترفوا بفضل العلماء العرب المستشرقة الدكتورة (سيجريد هونكه) مؤلفة كتاب (شمس العرب تسطع على الغرب ـ أثر الحضارة العربية في أوروبا) حيث تقول : (لقد شاء الله أن يظهر من الأوربيين من ينادي بالحقيقة ولا يغمط العرب حقهم، في أنهم حملوا رسالة عالمية، وأدوا خدمة إنسانية للثقافة البشرية قديما وحديثا. إن هذا النفر من الأوربيين المنصفين، لا يأبه من تحدي المتعصبين الذين حاولوا جهد طاقتهم طمس معالم هذه الحضارة العربية والتقليل من شأنها) .
ـ وفيما يلي نبين كيف اغترف الغرب من معين الحضارة العلمية والكشفية في كل المجالات من كنوز المعارف العربية والإسلامية وبشهادة المستشرقين عن طريق عرض نماذج معينة من العلماء ، وبيان وسائل نقل العلوم الإسلامية إلى أوروبا:
أولا : نماذج من العلماء المسلمين لهم فضل على أوروبا (في عيون المستشرقين المنصفين) :
•ابن سينا (٩٨٠ـ ١٠٣٦م) : وهو عالم وطبيب مسلم من بخارى ، اشتهر بالطب والفلسفة واشتغل بهما ،
ابن الهيثم (٩٦٥ـ ١٠٣٨م) : يقول جورج سارتون في كتابه (العلم القديم والمدنية الحديثة) عن ابن الهيثم إنه أكبر عالم طبيعة مسلم، ومن أكبر المشتغلين بعلم المناظير (الضوء) في جميع الأزمان.
. ٣. أبو الريحان البيروني (٩٦٣ ـ ١٠٤٨م) : أفغاني المسلم ، لمع بين علماء المشرق والمغرب حتى اعتبر من واضعي الأسس الأولى لعلم حساب المثلثات . ٤ .. الفيلسوف العربي الأندلسي ابن رشد (١١٢٦ ـ ١١٩٨م) .

ثانيا : وسائل نقل العلوم الإسلامية إلى أوروبا وإسهامات المستشرقين فيها :تعددت وسائل نقل العلوم الإسلامية إلى أوروبا وكان للمستشرقين دور بارز في نقلها بطريق مباشرة وغير مباشرة ، وهي :
أولاً : البعثات الأوربية الشخصية والرسمية التي توافدت على مراكز الحضارة العربية الإسلامية :فمثلا اعتمدت جميع مراكز التعليم في أوربا على قرطبة واشبيلية وطليطلة وغرناطة .. حيث كان الطلاب يشدون الرحال إليها ويقضون السنوات الطوال في الدراسة والتتبع ، والاطلاع على مؤلفات العرب فيها ، وكان في مقدمة هؤلاء الراهب الفرنسي المستشرق (جربرت دي اورياك) الذي وفد إلى الأندلس في عصر الخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦ هـ / ٩٦١ – ٩٧٦مـ).
ثانياً : المستعربون : والمستعربون بحكم معرفتهم للغتين العربية واللاتينية الحديثة كانوا أداة اتصال بين شطري اسبانيا ، وهم منذ الفتح العربي الإسلامي لم ينقطعوا عن الهجرة إلى المناطق الشمالية في اسبانيا .
ثالثا : التجار والعلاقات التجارية المتواصلة : فالتجار المسلمين ظلوا قروناً يتاجرون مع الكثير من البلدان الأوربية .
رابعا : التقارب السياسي والعلاقات الدبلوماسية . خامسا : حركة الترجمة : وتعد قناة غير مباشرة ، ولكنها أثرت تأثيراً كبيراً في نقل أوربا من عصر الظلام والتخلف إلى عصر الانبعاث والتقدم ، وكان للمستشرقين دور كبير في إثراء هذه الوسيلة والتحفيز عليها ، وقد مرت حركة الترجمة بدورين ، الدور الأول : والتي تمت فيه ترجمة الكثير من المخطوطات إلى العربية بما في ذلك كتاب في علم الزراعة ،كتبه (كولوميلا) وكتاب تاريخ عام ألفه (اوروسيوس) ، وكتاب يبحث في التنجيم ، وآخر في الاشتقاق لمؤلفه (ايزدور) .
أما الدور الثاني : فيشمل الترجمة من العربية إلى اللاتينية ، ويبدأ من منتصف القرن الخامس إلى أخر القرن السابع الهجري / منتصف القرن الحادي عشر إلى أخر القرن الثالث عشر الميلادي ، وقد مر هذا الدور بمرحلتين الأولى تمت فيها ترجمة العلوم العربية المنقولة عن العلوم اليونانية ، والمرحلة الثانية ترجمة العلوم العربية الإسلامية.